جامعة جنوب الوادي
كلية الآداب – قنا
قسم الدراسات الإسلامية

مباحث في علوم القرآن الكريم

إعداد:
أ.د. محمد أحمد الخولي

العام الجامعي ٢٠٢١/٢٠٢٢م

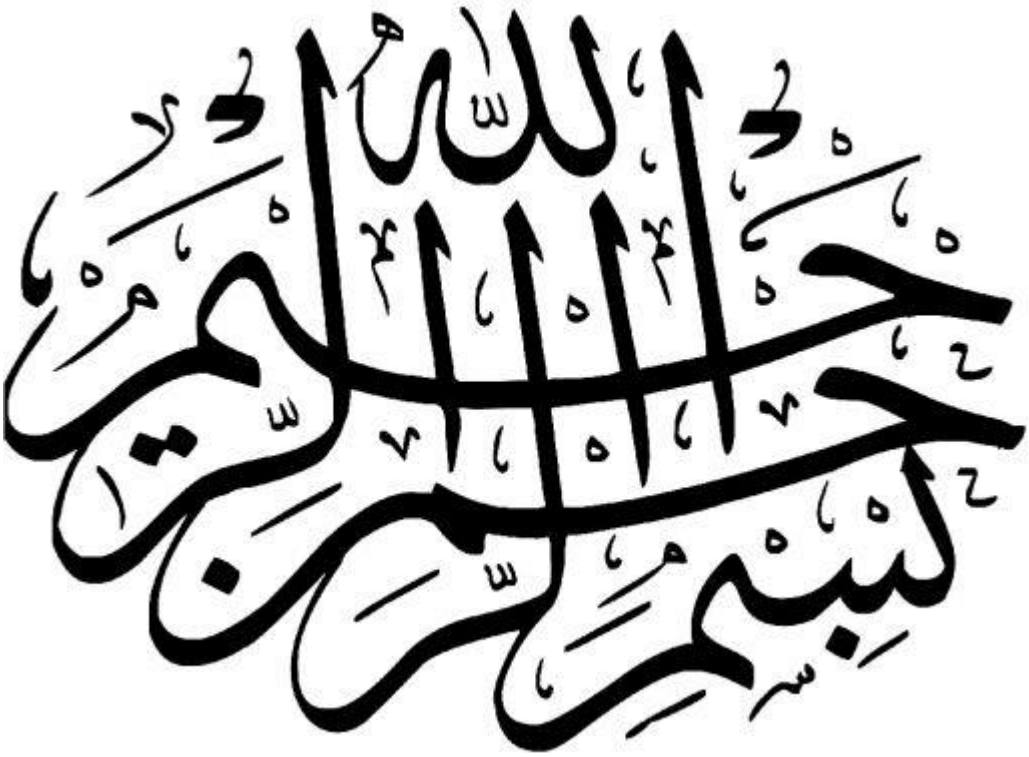
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.... وبعد.

فإنّ القرآن الكريم كتاب: هداية ومشكاة نور ومنهج حياة، بيّن الله فيه للناس ما يجب لهم وما يجب عليهم، وما يحل لهم وما يحرم عليهم، وذلك في قواعد كلية، تندرج تحتها فروع لا تنحصر من الأحكام التي لا غنى لهم عنها في أي عصر من العصور.

فما من صغيرة ولا كبيرة يحتاج الناس إليها إلا شملها تشريعه، ووسعها بيانه. قال تعالى: **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين)** [النحل:٨٩].

لهذا كان من الواجب على كل مسلم، آمن بالله وكتبه ورسله أن يتدبر معانيه ويتفقه فيه، ويتعلم منه أحكام دينه وأمور دنياه، ويرجع إليه في كل قضية من قضاياه الخاصة والعامة، ويجعله ربيع قلبه وأنيسه في وحشته، وإمامه في حله وترحاله.

وانطلاقًا من هذا الواجب، بذل العلماء من الصحابة والتابعين جهدهم في حفظه ومدارسته، واستخلاص ما فيه من العظات والعبر، واستنباط ما تضمنته آياته من الأحكام التكليفية من عقائد وعبادات ومعاملات، مسترشدين فيما غمض عليهم فهمه بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، فقدموا لطلاب الدين والدنيا تراثًا حافلاً، لا ينضب معينه من أنواع العلم وألوان المعرفة، وفتحوا لهم أبوابًا واسعة للتأمل والنظر فيما جد ويجد من شؤون الحياة.

وبين أيدينا من هذا التراث الخالد ما لا يكاد يحصى في شتى العلوم، ومختلف الفنون، وكلها لا غنى عنها، لمن يريد فهم أحكام الدين بوجه خاص وشؤون الدنيا بوجه عام.

فأفضل ما تجب العناية به، والاهتمام بمدارسته ومعايشته: هو كتاب الله عز وجل، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه ولا يمله قارئه ولا سامعه، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن عمل به آجر، ومن هدي إليه، فقد هدى إلى صراط مستقيم.

ولما كانت"علوم القرآن الكريم" هي طوائف المعارف المتصلة بالقرآن، والتي تعين على فهمه، والوقوف على بعض أسراره، حسب ما يفتح للبشر، فقد حاولنا في هذه الدراسة المعنونة ب" مباحث في علوم القرآن" أن نقدم وصفًا لهذا المصطلح"علوم القرآن الكريم" وذلك بإيجاز غير مخل.

الدراسات السابقة:

وبالرغم من وجود دراسات معاصرة، سابقة كثيرة ومفيدة على هذا الجهد المتواضع، إلا أن هذه الدراسة أعدت لتكون مناسبة لطلبة الأقسام الشرعية، وفيما يلي أهم الدراسات السابقة حول القرآن الكريم:

١. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.
٢. المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة .
٣. المدخل لدراسة القرآن الكريم: للدكتورمحمد محمد أبو شهبة.
٤. مباحث في علوم القرآن: للدكتورصبحي الصالح.
٥. مباحث في علوم القرآن : مناع القطان .
٦. لمحات في علوم القرآن، تأليف الشيخ محمد الصباغ.
٧. مدخل إلى علوم القرآن والتفسير للدكتور فاروق حمادة.

إلى غير ذلك من المصنفات المهمة الأخرى ، التي تميزت بالتراثية (البرهان للزركشي – الاتقان للسيوطي وغيرهما).

وقد راعى المصنف المناهجَ العلمية في إعداد الكتاب، فكان المنهج الاستقرائي الغالب على الكتاب، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي والاستنباطي، مع الأخذ في الاعتبار، أن هناك أدوات قد استخدمت في تطبيق المناهج العلمية، مثل: تخريج الأحاديث النبوية تخريجا علميا، وإثبات الآيات القرآنية بالصورة العثمانية، وتوثيق المعلومات توثيقا علميا؛ بالاعتماد على المراجع الأصيلة.

كما راعى المصنف أن تكون خطة الكتاب مناسبة لموضوعاته فجاءت في تمهيد وبابين، وقد انقسم البابان إلى مجموعة من الفصول، على النحو التالي:

المشتملات:

التمهيد: وفيه تمت دراسة كلمة (قرآن) من حيث الاصطلاح، ثم مصطلح"علوم قرآن" من حيث النشأة والتطور، ثم بينا أسماء القرآن الكريم وأوصافه، ثم أسماء سوره والفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي وذلك من خلال مباحث.

الفصل الأول: الوحي وفيه: (تعريفه، كيفيته، صوره).

الفصل الثاني: نزول القرآن الكريم وفيه: (نزوله جملة ومفرقًا والحكمة من ذلك، نزوله على سبعة أحرف وأقوال العلماء في ذلك، الحكمة، فوائد اختلاف القراءات).

الفصل الثالث: المكي والمدني وفيه: (التعريف، الصفات والضوابط).

الفصل الرابع: جمع القرآن وترتيبه (مراحل الجمع، وصفات كل مرحلة) وفيه أيضًا: ترتيب الآيات والسور، الرسم العثماني.

الفصل الخامس: أسباب النزول وفيه: (اهتمام العلماء بأسباب النزول، تعريف السبب، عموم اللفظ وخصوص السبب، فوائد معرفة أسباب النزول).

الفصل السادس: المحكم والمتشابه وفيه: (التعريف، أقوال العلماء، الحكمة من المتشابه)

الفصل السابع: الناسخ والمنسوخ وفيه: (التعريف، أقسام النسخ، أنواع النسخ، الحكمة).

الفصل الثامن: المثل في القرآن الكريم وفيه: (أهمية المثل، أقسام المثل).

الفصل التاسع: القسم في القرآن الكريم وفيه: (الغاية من القسم، أنواع القسم، حذف جواب القسم)

الفصل العاشر: المطلق والمقيد.

الفصل الحادي عشر: فواتح وخواتيم السور والمناسبات.

الفصل الثاني عشر: إعجاز القرآن الكريم وفيه: (التعريف، وجوه الإعجاز العلمي، البلاغي، التشريعي).

وقد حاول المصنف . في كل ما سبق . أن يقدم المعلومة سهلة ومبسطة؛ كي يتمكن الطلاب الأعزاء من الاستفادة من كل ما قُدم، كما راعي توثيق المعلومات لمن أراد الاستزادة، كل ذلك اشتمله منهج مبسط أكاديمي، مرتب على حسب الأصول العلمية.

أضرع إلى الله عز وجل أن يحقق للمسلمين النجاح والتوفيق ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق:٣] .

المؤلف

الأهداف العامة لدراسة مقرر" مباحث في علوم القرآن".

يتوقع من الدارسين لهذا المقرر:

أولا:أن يتعرفوا على مصطلحي" القرآن الكريم" و" علوم القرآن الكريم"، كما يتعرفون على أسماء القرآن وصفاته وأقسامه.

ثانيا:أن يقفوا على صور الوحي وطرق إثباته، والفرق بين القرآن المكي والمدني، وكيفية نزول القرآن وجمعه وتدوينه.

ثالثا:أن يتعرفوا على أسباب النزول، وضوابطه، وهل لكل آية سبب، وما فوائد معرفة الأسباب؟

رابعًا:أن يدركوا معاني المحكم والمتشابه، وماذا تعني مصطلحات: النسخ وأنواعه، والقسم والجدل في القرآن.

خامسا:أن يدركوا ويستفيدوا من دراسة أوجه الإعجاز القرآني، وشروط المعجزة القرآنية.

سادسا: القدرة على الرد على الشبهات المثارة حول القرآن وعلومه.

سابعا: الاستفادة من مباحث العلوم القرآنية في المناهج الدراسية .

التمهيد

وفيه مباحث:

المبحث الأول: علوم القرآن.... التعريف والنشأة والتطور.

المبحث الثاني: القرآن الكريم... أسماؤه وأوصافه (وسوره).

المبحث الثالث: الحديث القدسي: تعريفه، والفرق بينه وبين القرآن الكريم.

التمهيد

المبحث الأول: علوم القرآن.... التعريف والنشأة والتطور

المطلب الأول: تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن، مركب إضافي جاء علمًا على هذا العلم الذي نحن بصدد دراسته، ولفهم هذا المركب لابد من تعريف جزئيه .

أولا: تعريف كلمة "علوم":

علوم جمع علم، قال ابن فارس :"الْعَيْنُ وَاللامُ وَالْمِيمُ" أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَالْعِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ"(١).

والعلم في الاصطلاح: "هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم"(٢).

ثانيًا: تعريف كلمة "قرآن"

القرآن في اللغة: مصدر كالغفران، تقول: قرأ قراءة وقرآنا بمعنى واحد(٣)، ثم صارت بعد المصدرية، اسم علم يطلق على النظم الكريم، وهذا هو الغالب.

أما القرآن في الاصطلاح:" هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه(٤).

تعريف علوم القرآن بالمعنى الإضافي:

هو مجموعة المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه،... (٥)إلخ.

فضله: إن شرف العلوم بشرف موضوعها، وموضوع علوم القرآن هو القرآن الكريم، وعليه، فعلوم القرآن الكريم من أفضل العلوم وأشرفها وأسماها، كما قال ابن الجوزي –رحمه الله

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ١٠٩/٤.

(٢) التعريفات، للجرجاني، ١٥٥.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ١٢٨/١، مادة(قرأ) المصباح المنير، للفيومي، ص٢٥٩، مادة: (قرأ).

(٤) عرف العلماء القرآن الكريم بتعريفات عدة، أطنب بعضهم، وتوسط آخرون، وأوجز البعض من حيث ذكر الخصائص والإعجاز والتواتر والكتابة. ينظر هذه الآراء في: مناهل العرفان، للزرقاني، ١٩/١–٢٠.

(٥) ينظر : المصدر السابق، ١٣٣/١.

تعالى:"لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم"[١].

فائدته: لا نخطئ التعبير إن قلنا: إن علوم القرآن، تعد مفتاح التفسير، إذ لا يستطيع أحد أن يلج إلى التفسير إلا بهذا العلم، فلا بد للمفسر من التسلح بعلوم القرآن الكريم، ليستطيع الولوج إلى التفسير، والدفاع عن كتاب الله، ودحض الشبهات التي يثيرها الأعداء وغيرهم حول ساحته.

المطلب الثاني: نشأة علوم القرآن:

لهذا العلم مرحلتان:

الأولى: ما قبل التدوين:

كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم على دراية تامة بعلوم القرآن، فقد أقبلوا على القرآن الكريم منذ نزوله، تلاوة وحفظًا ودراسة وتدبرًا، وكانوا يفهمون القرآن الكريم بسليقتهم العربية، فقد كانوا عربًا خلصًا، وهبهم الله ملكة تامة للحفظ، وذكاء في القريحة، فكانوا يزنون الكلام ويتذوقون البيان، فضلاً عن ملازمتهم لدروس الرسول ﷺ كما تبين الأحاديث. وتدلل لنا الأخبار التالية على أن الصحابة كانوا على دراية تامة بعلوم القرآن.

فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ[٢]. فقوله (تعلم)، (ويعرف) دليل واضح على طريقة التعلم والفهم ومصدرهما.

وروى أبو عبد الرحمن السلمي[٣] قال:" حَدَّثَنَا الَّذِينَ، كَانُوا يُقْرِؤُنَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَقْرَئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يَخْلُفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا"[٤]. وفي ذلك إشارة واضحة للتعلم بمرحلتيه النظرية والعملية.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلا وَأَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، وَلا آيَةٌ وَأَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ"[٥].

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي، ٣/١.

(٢) تفسير الطبري: ٨٠/١ . وقال الشيخ أحمد شاكر:" إسناده موقوف على ابن مسعود" .

(٣) هو: أبو عبد الرحمن السلمي، عبد الله بن حبيب، من قراء القرآن وأهل الورع في السر والإعلان. مات سنة أربع وسبعين. مشاهير علماء الأمصار، ص١٦٤.

(٤) المصدر السابق، وقال الشيخ أحمد شاكر:" هذا إسناد صحيح متصل " .

(٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ١٨٧/٦، ح٥٠٠٢ .

ويقول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهو على المنبر:" سَلُونِي فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلا وَأَنَا أَعْلَمُ بِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ وَأَمْ فِي سَهْلٍ، أَمْ فِي جَبَلٍ"(١).

فهذه الأخبار وغيرها تثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على دراية تامة بعلوم القرآن ومعارفه.

وبهذا يتضح لنا: أن علوم القرآن ظهرت منذ نزل القرآن على الرسول ﷺ، وعلى رأس هذه العلوم: علم التفسير.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعتمدون على المشافهة في تعلُّم علوم القرآن الكريم، ولم يدونوا شيئًا من هذه العلوم، ويرجع ذلك إلى أسباب منها(٢):

١– أغلب الصحابة كان أميا، لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

٢– أن الرسول ﷺ نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن بقوله ﷺ: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"(٣).

الثانية: عهد التدوين:

في هذا العهد بدأ تدوين العلوم، وكان أول علم يدوّن هو علم التفسير، وقد دوّن في أول أمره على أنه باب من أبواب الحديث، وممن دونه في هذه المرحلة: يزيد بن هارون السلمي"ت١١٧هـ"، وشعبة بن الحجاج"ت١٦٠هـ" ووكيع بن الجراح"ت١٩٧هـ"، وسفيان ابن عيينة"ت١٩٨هـ"، وغيرهم، وكان جمعهم للتفسير جمعًا لباب من أبواب الحديث.

ثم دون التفسير مستقلاً، ويأتي على رأس المدونين العلامة محمد بن جرير الطبري"٣١٠هـ"، فيعد تفسيره للقرآن من أقدم ما وصل إلينا كاملا شاملا، جمع فيه صاحبه ما ورد عن الصحابة والتابعين، ووجه الأقوال، ورجح بعضها على بعض، وأورد أسباب النزول، وذكر الإعراب، والأحكام...وغير ذلك.

وقد اتجهت همم كثير من العلماء إلى التدوين في بعض مباحث علوم القرآن، وإليك بعض هذه المؤلفات:

١) ألف الحسن البصري (ت١١٠هـ) في "القراءة".

٢) وعطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) في "غريب القرآن".

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٣٤/٣، ح٢٩٧٠ .

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني،٢٤٦/١، دراسات في علوم القرآن، للرومي، ص٣٣ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت فِي الحديث وحكم كتابة العلم، ٢٢٨/٨ ، ح٣٠٠٤.

٣) وقتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٧هـ) في "الناسخ والمنسوخ".
٤) وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ) "المقطوع والموصول".
٥) وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) في "أسباب النزول".
٦) وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) "تأويل مشكل القرآن".

المطلب الثالث: ظهور اصطلاح علوم القرآن:

إذا كان اصطلاح علوم القرآن يطلق على: مجموعة العلوم التي تخدم القرآن الكريم، كعلم أصول التفسير، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والرسم العثماني وإعجاز القرآن.. وغير ذلك. وهذه العلوم، وإن كانت قد ظهرت في وقت مبكر، إلا أنها لم تجمع في كتاب واحد، وتظهر كفن مدوّن، إلا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألف محمد بن خلف بن المرزبان"ت٣٠٩هـ" كتابه"الحاوي في علوم القرآن"[١].

ثم توالت المصنفات في علوم القرآن ومن أهمها:

١) "المختزن في علوم القرآن"، لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ).
٢) "الأمد في علوم القرآن" لعبيد الله بن جرو الأسدي (ت٣٨٧هـ).
٣) "فنون الأفنان في علوم القرآن" لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).
٤) "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، وهو كتاب فريد في نوعه، جميل في جمعه وترتيبه، اشتمل على سبعة وأربعين نوعًا من أنواع علوم القرآن، قال عنه مؤلفه:" ضمنته من المعاني الأنيقة والحكم الرشيقة ما يهز القلوب طربا ويبهر العقول عجبا، ليكون مفتاحا لأبوابه وعنوانا على كتابه معينا للمفسر على حقائقه ومطلعا على بعض أسراره ودقائقه"[٢]، وهو من أفضل المؤلفات في علوم القرآن الكريم ومن أحسنها تنظيمًا وتبويبًا وأسلوبًا.
٥) "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) وهذا الكتاب عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفن. ذكر فيه السيوطي: ثمانين نوعا من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والإدماج ثم قال: ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة[٣].
٦) وألف محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٩٤٨م) «مناهل العرفان في علوم القرآن» " – رحمه الله– وهو كتاب حافل، غير أنه لم يستوعب أنواع علوم القرآن، إلا أنه أوسع فيه القول،

---

(١) دراسات في علوم القرآن، للرومي، ص٤١ .
(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٩/١.
(٣) الإتقان، للسيوطي،٣١/١ .

وأطنب في بعض موضوعاته، ولا سيما في الرد على الشبه والمشكلات التي أثيرت حول «القرآن».

وقد انتعشت المصنفات القرآنية كثيرًا في السنوات الأخيرة بما يدعو إلى التفاؤل وصدق الله العظيم **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجر: ٩].

ومن أهم هذه المؤلفات:

١. علوم القرآن، للدكتور، عدنان زرزور.
٢. دراسات في علوم القرآن، للدكتور فهد الرومي.
٣. دراسات في علوم القرآن، للدكتور محمد بكر إسماعيل.
٤. علوم القرآن والحديث للشيخ أحمد محمد علي داود.

المبحث الثاني: القرآن الكريم أسماؤه وأوصافه (وسوره).

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم:

بداية نقرر سؤالاً يمكن أن يطرح على مستوى التعريفات اللازمة لكل مصطلح، وهو هل نحن بحاجة حقيقية إلى معرفة لفظ القرآن؟ وألا يكفي في التعريف به أن نشير إلى ما بين دفتي المصحف ونقول: هذا هو القرآن؟ أو أن نقول: إن القرآن هو قولنا: بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله رب العالمين... إلى أن نختم قولنا بآخر كلمات القرآن"..من الجنة والناس" سورة الناس.

ربما لم تكن هناك حاجة حقيقية لتعريف عامة المسلمين بالقرآن وتوقيفهم على مدلول هذا اللفظ بأكثر مما سبق، حيث يكفي المسلم العادي حين يسمع أو يقرأ كلمة"قرآن" أن يعرف أنها تعني ذلك المكتوب في المصحف المشار إليه، أو ذلك المقروء باللسان والمحفوظ في الصدور، ويكون بذلك قد وقع على تعريف القرآن تعريفًا تحديديًا. ولكن الحاجة تصبح ضرورية لدى المسلم الدارس، ليس من ضرورة أن لفظ القرآن من الكليات التي تحدها التعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول، ولكن من الضرورة تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه، مما قد يشاركه في الاسم ولو توهما، وبيان صفاته التي امتاز بها عن هذه الأنواع.

إن لفظ القرآن في اللغة – أصلاً – مصدر كالغفران، تقول: قرأ قراءة وقرآنا بمعنى واحد[١] قال تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)**[القيامة:١٧-١٨] أي: قراءته.

ثم صار بعد مصدريته، اسم علم يطلق على النظم الكريم، وهذا هو الغالب، ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)**[الإسراء: ٩].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١٢٨/١، مادة(قرأ) المصباح المنير، للفيومي، ص٢٥٩، مادة(قرأ).

كما يطلق على الجزء منه بطريق الاشتراك اللفظي كقوله تعالى: **(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**[الأعراف: ٢٠٤] ، يعني أي جزء منه، ولهذا صح أن يقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله: إنه قرأ قرآنا، ولمن قرأ ولو آية واحدة منه: إنه قرأ قرآنا، وعلى هذا يفهم قول الفقهاء مثلاً: تحرم قراءة القرآن على الجنب، فإنهم يقصدون حرمة قراءته كله أو بعضه على حد السواء.

ويطلق على النظم الرباني لفظ"الكتاب" كما في قوله تعالى(**آلم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ)**[البقرة:١-٢] ، وذلك لجمعه أنواعًا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على وجه مخصوص. ومما هو معلوم أن تسمية النظم الرباني"بالقرآن" روعي فيه كونه متلوًا بالألسن، كما روعي في تسميته"بالكتاب" كونه مكتوبًا، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنه من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أي: حفظه في الصدور والسطور معًا، فلا بد من توافق الحفظين[١].

وقد عرف العلماء القرآن الكريم بتعريفات عدة[٢]، وأفضل هذه التعريفات هو:

أن القرآن الكريم:"كلام الله المنزل على محمد ﷺ المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه".

دلالة التعريف[٣]:

"**فالكلام**" جنس شامل لكل الكلام، وإضافته إلى الله تميزه عن كلام من سواه من الأنس والجن والملائكة.

"**المنزل**" مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر؛ إذ ليس كل كلامه تعالى منزلاً، بل الذي أنزل منه قليل من كثير.

"**على محمد ﷺ**" أي بلفظه ومعناه، مخرج ما نزل على غيره كالتوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وما نزل بمعناه كالأحاديث القدسية.

"**التواتر**" ما رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، ويدخل ضمن ما تواتر القراءات العشر، وتخرج القراءات الشاذة ولا تسمى قرآنا.

"**المتعبد بتلاوته**" أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة والذكر، ولإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من منسوخ التلاوة والأحاديث القدسية المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا: إنها

---

(١) ينظر: النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز ص ١٢ – ١٣، بتصرف.

(٢) أطنب بعضهم، وتوسط آخرون، وأوجز البعض من حيث ذكر الخصائص والإعجاز والتواتر والكتابة. ينظر هذه الآراء في: مناهل العرفان، للزرقاني، ١/١٩-٢٠.

(٣) ينظر: علوم القرآن ، مدخل إلى تفسير القرآن ، وبيان إعجازه ، د. عدنان زرزور، ص٤٦-٤٧..

منزلة من عند الله بألفاظها، فإن قلنا: إنها منزلة بمعناها فحسب فهي خارجة بالقيد الأول، فلا تعتبر كلامًا لله من حيث كانت ألفاظها من عند رسول الله ﷺ، فهي حرية أن تنسب إليه؛ لأن الكلام إنما ينسب إلى واضعه الذي ألفه على نحو خاص، ولو كان فيه من المعنى من خارج نفسه.

"**المتحدى بأقصر سورة منه**" لأنه معجز للبشر، فقد طلب من العرب أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا عن الإتيان بها. وصدق الله تعالى(**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)**)[الإسراء:٨٨].

المطلب الثاني: أسماء القرآن الكريم:

بلغت أسماء القرآن عند كثير من العلماء أكثر من تسعين اسمًا، وعند البعض الآخر خمسًا وخمسين[(١)]، وأرى أن هذا العدد ما بين أسماء وصفات للقرآن وربما أدخلت الأسماء في الصفات. وعلى جميع الأحوال، فالأمر فيه سعة فمن نطق الاسم يريد الصفة فلا بأس، وهذه بعض الأسماء:

١- القرآن: قال تعالى (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) [الإسراء: ٩].

٢- الكتاب: قال تعالى(**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**) [الأنبياء: ١٠].

٣- الذكر: قال تعالى (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [الحجر: ٩]

٤- الفرقان: قال تعالى(**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**) [الفرقان: ١].

٥- «التنزيل»، قال تعالى (**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[الشعراء: ١٩٢].

المطلب الثالث: أوصافه:

وصف الله تعالى القرآن الكريم بأوصاف كثيرة، وكل وصف من هذه الأوصاف يدل على معنى من المعاني التي تضمنها القرآن الكريم، منها:

١ - «عربي، وبشير، ونذير» قال تعالى: (**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا**)[فصلت: ٣ - ٤].

٢ - و"هدى" و"شفاء" و"رحمة" و"موعظة: (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)**) [يونس ٥٧].

٣ - و«نور»: (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**)[النساء ١٧٤].

٤ - و"بشرى".(**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)[البقرة ٩٧].

٥ - و"عزيز"..(**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١)**) فصلت ٤١].

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي١/٢٧٣، لطائف الإشارات للقسطلاني١/١٨، الإتقان، للسيوطي،١/٦٧.

٦ – و"مبارك"..(**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)** [الأنعام ٩٢].
٧ – و"مجيد".. **(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ)** [البروجٍ ٢١].

المطلب الرابع: سور القرآن:

السورة: تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت: أي أفضلت، وكأنها قطعة من القرآن. ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزها. ومنهم من يشبهها بسور البناء: أي القطعة منه. وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها. وقيل: لارتفاعها: لأنها كلام الله والسورة المنزلة الرفيعة. وقيل: لتركيب بعضها على بعض، ومن التسور بمعنى التصاعد والتركيب. إلى غير ذلك من الأقوال(١).

ويمكن تعريفها اصطلاحا:

قال الجعبري : السورة بعض قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات.

وقيل: السورة الطائفة المترجمة توقيفًا، أي الطائفة من القرآن المسمّاة باسم خاص بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلم.

وقيل: السورة بعض من كلام منزّل مبين أوله وآخره، إعلامًا من الشارع، قرآنًا كان أو غيره(٢) .

وقيل: إنها طائفة مستقلة من آيات القرآن، ذات مقطع ومطلع، وهي مأخوذة من سور المدينة؛ وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كالبنة فيه بجانب لبنة، ويقام كل صف منه على صف(٣).

وسور القرآن أقسام أربعة هي:

أ– السبع الطوال: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة قيل: الأنفال وبراءة؛ لأنهم كانوا يعدونهما سورة واحدة لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: السابعة يونس.

ب– المئون: التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

ج– المثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات، سميت بذلك؛ لأنها تثني في القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور،، ٣٨٤/٤، تهذيب اللغة، الأزهري، ٣٦/١٣، الإتقان، للسيوطي، ١/ ٦٩.
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ٩٨٩/١.
(٣) مناهل العرفان، للزرقاني، ٣٢٠/١-٣٢٤.

د- المفصل: وفيه خلاف؛ فمن قائل: من أول سورة"ق" وقيل: من أول"الحجرات" وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، ولذا يسمى المحكم أيضًا.

وهو ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار. فطواله من أول"الحجرات" إلى سورة"البروج" وأوساطه من سورة"الطارق" إلى سورة"لم يكن" وقصاره من سورة"إذا زلزلت" إلى آخر القرآن(١).

تنبيه: تحديد أوائل هذه الأقسام وأواخرها باجتهاد من العلماء.

أسماء السور:

قد يكون للسورة من القرآن الكريم اسم واحد وهو كثير.

وقد يكون لها اسمان فأكثر، وكثرة الأسماء ترجع لبعض المعاني الخاصة بالسورة القرآنية، وهذا شبيه بفعل العرب.

فالفاتحة لها أسماء كثيرة: منها فاتحة الكتاب، أم القرآن، أم الكتاب، السبع المثاني، الكافية، الواقية، الشافية، سورة المناجاة، الوافية، الكنز، إلى غير ذلك من الأسماء.

وسورة المائدة تسمى: **سورة العقود.**

وسورة الأنفال تسمى: **سورة بدر.**

وسورة النحل تسمى: **سورة النعم.**

وسورة الشعراء تسمى: **سورة الجامعة.**

وسورة النمل تسمى: **سورة سليمان.**

وسورة غافر تسمى: **سورة المؤمن.**

وسورة الرحمن تسمى: **عروس القرآن.**

وسورة الطلاق تسمى: **النساء الصغرى.**

وسورة عم يتساءلون تسمى: **النبأ والتساؤل.**

وسورة الفلق، والناس، تسميان"**المعوذتان**".

وقد سميت سور بأسماء الأنبياء وذلك؛ لأن السور احتوت قصصهم مثل سورة نوح وسورة هود وسورة إبراهيم ويونس ويوسف.

وهناك أقوال كثيرة وتأويلات حول أسماء السور القرآنية كلها تحتاج إلى مستند من الأثر، فلذا ابتعدنا عنها(٢).

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ١/ ٧٥، الفوز الكبير في أصول التفسير، للدهلوي، ص١٤٠، دراسات في علوم القرآن ، فهد الرومي، ص١٠٧، محاضرات في علوم القرآن، غانم قدورى، ص٧٥.

(٢) الإتقان، للسيوطي، ١/ ٧٠ وما بعدها.

المطلب الخامس: هل تسمية السور القرآنية توقيفية أم اجتهادية؟

للعلماء في ذلك قولان:

الأول: ذهب كثير من العلماء إلى أن تسمية السور توقيفية، ومن هؤلاء الطبري[١]، والزركشي[٢]، والسيوطي[٣] وغيرهم

واستدلوا على ذلك بتسمية النبى ﷺ لبعض السور، كفاتحة الكتاب، وسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، وغيرها.

الثاني: أن أسماء السور اجتهادية، ولعلهم اعتمدوا فى هذا على عدم ورود اسم كل سورة من طريق التوقيف، وإن وقع هذا لبعض السور.

والذي نميل إليه هو أن أسماء السور على ثلاث مراتب:

١ – منها ما ثبت تسميته عن النبي ﷺ.

٢ – منها ما ثبت تسميته عن الصحابة، مثل ما ورد في صحيح البخاري أن سعيد بن جبير قال:"سألت ابن عباس عن سورة الأنفال، فقال: تلك سورة بدر"[٤]، فسماها ابن عباس سورة بدر.

٣ – منها ما ثبت عمَّن دون الصحابي بدءًا من التابعين إلى يومنا هذا، ومما يلحظ أنه يغلب عليها أن تسمى ببدايات السورة، مثل: سورة (لم يكن)، سورة (أرأيت)، سورة (عم) وهكذا، والاصطلاح على تسمية سورة باسم جائز؛ لأنه لم يرد نهي من النبي ﷺ في ذلك، وما زال العمل عند المسلمين على هذا من عهد الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، فليس في هذا إشكال ولا نكير[٥].

---

(١) جامع البيان، للطبري، ١/١٠٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١/٢٧٠.

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ٢/٢٧٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب فِي سورة براءة والأنفال والحشر، ٤/٢٣٢٢، ح٣٠٣١ .

(٥) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ص٦٣، المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان، ص١٧٠.

المبحث الثالث: الحديث القدسي.

المطلب الأول: تعريفه، ووجه التسمية:

هو ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى(١).

وجه التسمية: سمي بالحديث نظرًا؛ لأن الرسول ﷺ هو الحاكي له.

وسمي بالقدسي: نسبة إلى القدس، وهو الطهر، والتقديس: التطهير، ومنه قوله تعالى: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** [البقرة: ٣٠]، وقَالَ الزَّجاجُ: معنى نُقدِّسُ لَكَ، أي: نُطهِّرُ أنفُسنا لَكَ(٢).

والأحاديث القدسية: تقديس الله وتنزيه ذاته العلية عن النقائص وما لا يليق به سبحانه.

مثاله: ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى:"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"(٣).

وإليك مجموعة من الحقائق قبل أن نشرع في إبراز الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

أ. لا خلاف بين العلماء جميعًا في أن لفظ القرآن الكريم ومعناه من عند الله تعالى، أنزلهما على الرسول ﷺ بواسطة الوحي مشافهة ومدارسة.

ب. لا خلاف أيضًا في أن معنى الحديث القدسي من عند الله تعالى، أنزله على الرسول ﷺ بواسطة الوحي مشافهة أو بوحي الإلهام.

ج. كل ما صدر عن الرسول ﷺ فمعناه من عند الله تعالى، سواء كان قرآنًا أم حديثًا قدسيًا أم نبويًا، إلا أن القرآن الكريم لفظه من عند الله تعالى، كما أن الحديث النبوي لفظه من عند الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

١. القرآن الكريم تعبدنا الله تعالى بتلاوته، بخلاف الحديث القدسي.

٢. القرآن الكريم كلام الله لفظًا ومعنى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله ولفظه من النبي ﷺ .

٣. القرآن معجزة باقية على مر العصور، محفوظة من التغيير والتبديل، بخلاف الحديث القدسي فليس فيه معنى الإعجاز، إذ لم يثبت بشأنه التحدي والإعجاز.

٤. القرآن الكريم ثبت بطريق التواتر فهو قطعي الثبوت، أما الحديث القدسي فمنه الصحيح والضعيف والموضوع.

---

(١) تحرير علوم الحديث، للجديع، ٣٧/١ .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ١٦٨/٦، المعجم الوسيط ٧١٩/٢ .

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ١١٨/٤، ح٣٢٤٤ .

٥. القرآن لا يضاف إلا إلى الله تعالى، بخلاف الحديث القدسي فقد يضاف إلي الله، وقد يضاف إلى الرسول ﷺ؛لأنه المخبر به عن الله عز وجل.
٦. القرآن لا تجوز روايته بالمعنى ولا يجوز تبديل حرف بحرف آخر بخلاف الحديث القدسي فيجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين(١).
٧. القرآن الكريم جاحده كافر، بخلاف الحديث القدسي فجاحده غير كافر.
٨. القرآن الكريم لا تجوز الصلاة إلا به، بخلاف الحديث القدسي إذا قرئ شيء منه في الصلاة فأبطلها.
٩. القرآن الكريم، الجملة منه تسمى آية وعدد مخصوص من الآيات يسمى سورة، بخلاف الحديث القدسي، فلا تسمى الجملة منه آية، ولا المقدار المخصوص من الجمل منه سورة(٢).

(١) فالحديث القدسي في ذلك كشأن الحديث النبوي الذي تجوز روايته بالمعنى بشرط أن يكون الراوي عالمًا بقواعد اللغة العربية، وأن يكون عالمًا بمدلولات الألفاظ ومقاصدها.
ينظر: الكفاية، للخطيب البغدادي، ص٢٥٩ وما بعدها، أصول السرخسي١/٣٥٥، الإلماع، للقاضي عياض ص١٧٩، المحدث الفاصل، الرامهرمزي، ص ٣٤٨-٣٥٠، الرسالة، للشافعي، ص ١٧٤، تدريب الراوي، للسيوطي ٢/١٠٠، نصب الراية للزيلعي، ٤/٢٠٠.
(٢) ينظر: بيان المعاني، لابن ملّا حويش، ٢/٢٩٣، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد ص١٥.

أسئلة للمناقشة

١) عرف علوم القرآن لغة واصحلاحًا، ثم وضح فضله.
٢) ما فائدة دراسة علوم القرآن.
٣) كان الصحابة على دراية بعلوم القرآن، دلل على ذلك.
٤) ما أسباب عدم تدوين الصحابة لعلوم القرآن؟
٥) متى ظهر اصطلاح علوم القرآن؟ ومن أول من ألف فيه.
٦) ما أهم المصنفات في علوم القرآن الكريم؟
٧) عرف القرآن، ثم اشرح التعريف.
٨) ماذا تعني كلمة" التواتر" في تعريف القرآن الكريم؟.
٩) ما أسماء القرآن الكريم ؟
١٠) لم سمي القرآن الكريم بهذا الاسم؟
١١) اذكر ثلاثة أوصاف للقرآن الكريم مع ذكر الدليل من القرآن الكريم.
١٢) ما أهم صفات القرآن الكريم، كما ذكرها الله تعالى.
١٣) اذكر المصطلح العلمي لما يأتي.
١٤) (.....) بعض قرآن يشتمل على آي، ذو فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات .
١٥) وضح المراد بالمصطلحات الآتية:
السبع الطوال، المئون، المثاني، المفصل.
١٦) سميت سورة الفاتحة بأسماء عدة. اذكر خمسة منها.
١٧) هل تسمية السور القرآنية توقيفي أم اجتهادي؟، وضح آراء العلماء في ذلك مع بيان الراجح.
١٨) عرف الحديث القدسي، وبيّن وجه تسميته بالقدسي.
١٩) اذكر خمسة فروق بين الحديثالقدسي والقرآن الكريم.

الفصل الأول: الوحي

المبحث الأول: تعريف الوحي، كيفيته وصوره، إثباته

المطلب الأول: تعريف الوحي:

الوحي لغة: تستعمل كلمة الوحي في اللغة العربية في معنى أعم من مفهومها الشرعي الخاص بالنبوة، حيث تستعمل بمعنى الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[1] .

وهذا الاتساع في المعنى استخدمه القرآن على النحو التالي:

١ – الإلهام الغريزي: كالوحي إلى النحل؛ قال الله تعالى **(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)** {النحل:٦٨}.

٢ – الإلهام الفطري؛ كالوحي إلى أمّ موسى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ..)** [القصص: ٧].

٣ – وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: **(..وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ..)** [الأنعام: ١٢١].

٤ – الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كإيحاء زكريا عليه السلام لقومه: **(فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)** [مريم: ١١].

٥ – وما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه: **(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)** [الأنفال: ١٢٦].

أما الوحي اصطلاحًا: فهو"إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه [2].

وقيل: إنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يوحى إليه، بحيث يخفى على غيره[3].

وقد روعي في وحي الله تعالى إلى أنبيائه، المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما: الخفاء والسرعة، ولهذا فإن معنى الوحي – شرعا– لا يتضمن أكثر من تكليم الله سبحانه لأحد عباده بطريق من طرق الوحي.

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج٦، ص٧٠، لسان العرب، لابن منظور، ج١٥، ص٣٧٩، تاج العروس، للزبيدي، ٤٠/ ١٦٩ .

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ٦٣/١، الواضح في علوم القرآن، مصطفى الديب، ص١٧، دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي، ص١٧٧ .

(٣) ينظر: الوحي المحمدي ، رشيد رضا ، ص٣٤.

المطلب الثاني: كيفيته وصوره:

ما هي كيفية الوحي الذي يوحى إلى رسول الله ﷺ؟

إذا كان السؤال عن طبيعة الوحي وذاته، فالإجابة غير متوافرة؛ لأن الوحي نوع من الممارسة الذاتية لم تتوافر إلا للأنبياء، وبالإضافة إلى أن تجربة الوحي روحية خالصة، والروح وما يتصل بها من تجارب ووقائع هي في التصور الإسلامي من أمر الله كما نص القرآن **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: ٨٥].

أما كيفيته التي تعني صوره ومظاهره، فهي كما وردت في الصحاح.

قال تعالى: **(وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)**. الشورى: ٥١].

فقد ذكرت هذه الآية صور الوحي وهي:

أ . النّفث في روع النبي، أو إلقاء الإلهام في قلبه على صورة غير مشكوك فيها أنها من عند الله. ويروي السيوطي أن رسول الله ﷺ قال: إن روح القدس كان ينفث في روعه الكلام نفثًا. كما روى أن الله كان يكلمه، كما حدث في ليلة الإسراء والمعراج. (١)

وهذه الصورة تتم بطريقتين:

الأولى: بالإلهام.

قال ﷺ:" إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ(٢).

الثانية: بالرؤيا الصادقة.

ودليلها: قوله تعالى في شأن إبراهيم وولده إسماعيل: **(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ)**[الصافات: ١٠٢].

وكما في حديث عائشة قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.. (٣)

أي تحققت بصورة غاية في الوضوح.

ب . تكليم الله لأنبيائه من وراء حجاب

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ٥٩/١.

(٢) مسند الشهاب، القضاعي١٨٥/٢، والإتقان، للسيوطي، ٥٩/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٧/١،ح٣، وكتاب التفسير، سورة العلق، ١٨٩٤/٤، ح٤٦٧٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان– باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٩٧/١، ١٦٠.

ودليل هذه الصورة: قوله تعالى في شأن «موسى» عليه السلام **(وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤))** [طه: ٩ – ١٤].

ج . الوحي بواسطة ملك، وله صورتان:

أ . أن يأتيه مثل صلصلة[١] الجرس. ب . أن يتمثل له الملك رجلاً.

روت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[٢].

فالأولى: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض، إن كان راكبها.

والثانية: أن يأتيه جبريل ويتمثل له رجلاً، فيخاطبه.

وكان جبريل عليه السلام يأتيه أحيانًا في صورة دحية بن خليفة الكلبي. وكان رجلاً جميلاً وسيما، وفي هذه الحالة كان يراه الصحابة أحيانًا.

وقد يرى الملك في صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع مرتين كما ذكر الله سبحانه في سورة النجم وفي سورة التكوير، ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

---

(١) قال الخطابي: وهو صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. الإتقان، للسيوطي، ٥٩/١.

(٢) صحيح البخاري، بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ،٦/١، ح٢، ومسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البرد وحين يأتيه الوحي، ٨٢/٧، ح٢٣٣٣ .

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)**[التكوير: ٢٣] **(وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى)** [النجم: ١٣].

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ، سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ.

فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)**[الأنعام: ١٠٣] ، أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول:**(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)** [الشورى: ٥١]؟

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: **(يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)** [(١)]المائدة، الآية ٦٧].

المبحث الثاني: إثبات وإمكان ظاهرة الوحي.

المطلب الأول: هل يمكن أن تتحقق ظاهرة الوحي؟

إن الإيمان بذلك يقتضي أولاً: الإيمان بالله الخالق وبعالم الغيب، ومن ثم كان من البدهي أن الجاحدين لوجود الخالق، المفسرين لوجود الكون تفسيرًا ماديًا أزليًا ينكرون عالم الغيب، ومن ثم ينكرون إمكان الاتصال به؛ لأنه عندهم حديث خرافة وأساطير ووهم لا حقيقة وراءه.

ويصور القرآن الكريم فكرتهم والحياة في قوله تعالى:**(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)**[الجاثية: ٢٤].

ولم تخرج دعوى المنكرين للوحي على مرّ العصور عن مجمل ذلك، وذلك لأنهم حصروا أفكارهم في الوجود المادي الذي يعايشونه.

وقد تعرض المنكرون للوحي وإمكانه على اختلاف عصورهم واتجاهاتهم إلى مختلف مظاهر الوحي وآثاره بمحاولة تفسيرها على نحو مادي يتمشى مع ما يؤمنون به من حصر الوجود والعلم به في هذا الكون المادي وفي عالم الحس الذي يعايشونه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} ١/١٥٩، ح٢٨٧ .

المطلب الثاني: أدلة إمكان الوحي وتقريبه للعقول:

١- "تقرر بوثوق: أن الوحى القرآني بإعجازه هو بنفسه دليل عقلي على مصداقيته، وذلك بما توافر له من براهين إعجازه بعد التحدي به وإعلان عجز الثقلين عن الإتيان بمثله، وصدق الله القائل في كتابه المعجز:(**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)[الإسراء: ٨٨].

٢ . إن المعاصرين للوحي شاهدوا مظاهره، ونُقِلَ بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم القطعي إلى الأجيال اللاحقة، ولمست الإنسانية أثره في حضارة أمته، وقوة أتباعه، وعزتهم ما استمسكوا به، وانهيار كيانهم وخذلانهم ما فرَّطوا في جنبه، مما لا يدع مجالاً للشك في إمكان الوحي وثبوته. وضرورة العودة إلى الاهتداء به إطفاء للظمأ النفسي بِمُثُلِهِ العليا، وقيمه الروحية.

العلم يؤكد إمكان الوحي:

١ . توصل العلم الحديث إلى اختراع أجهزة حديثة تنقل الصوت، أو الصوت والصورة عبر المسافات البعيدة بدقة عالية(كوسائل الاتصالات المختلفة، والمذياع، والتلفاز، وغيرها)، فيكلّم الإنسان من في أقصى الأرض، ويسمع كلامه، ولا يسمع الحاضرون شيئًا، ولا يستطيع أحد من الحاضرين أن ينكر ذلك، فإذا كان هذا من صنع الإنسان على عجزه، أفنستبعد بعد ذلك على الله- تعالى- أن يُعلم خواص عباده بما شاء من وحيه؟؟

٢ . استطاع العلم أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد بأصوات وأنغام وبقرآن وكلام، على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان، وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره يسمونه بالفونغراف.

أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس(١).

المطلب الثالث: بعض الأدلة التي تثبت أن الوحي من الله تعالى، وليس للنبي ﷺ من أمر الوحي شيء:

١ . كانت تنزل بالنبي ﷺ نوازل يتطلب لها حلاً، وكذلك كل من حوله، ولكنه لا يجد في شأنه قرآنًا يقرؤه على الناس.

ومن هذه النوازل والأزمات حديث الإفك عن زوجته السيد المصونة عائشة رضي الله عنها، فقد أبطأ الوحي، وطال الانتظار والناس يخوضون في هذا الحديث المؤذي، ويلوكون عرض النبي النقي، حيث بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع أن ينهي هذه المشكلة، ويحسم

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني،٦٩/١، النبأ العظيم، د. محمد عبد الله،١٠٤، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، ص٨٨ .

هذا الموضوع، ومضى شهر بأكمله أو أكثر، وهو ينتظر خبر السماء، وما زاد على أن قال لها آخر الأمر" يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ"(١).

هذا كلام رجل من البشر لا يعلم الغيب، وكلام المتثبت الذي لا يتبع الظن ولا يقول ما ليس له به علم، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات، حتى نزل صدر سورة النور معلنًا براءتها ومصدرًا الحكم المبرم بشرفها وطهارتها.

فماذا كان يمنعه – لو أن أمر القرآن إليه – أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، ويقطع بها ألسنة القاذفين المتخرصين وينسبها إلى الوحي؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

٢. وفي مرات أخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه ويخطئه في الرأي يراه، ويأذن له في الشيء الذي لا يميل إليه، فمن ذلك قوله تعالى:(**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**)[التوبة: ٤٣] ، وقوله تعالى:(**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**)[التوبة: ٤٢] .

لو كانت هذه المعاتبات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه: أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه؟؟(٢).

---

(١) ينظر حديث الإفك في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ١١٦/٥، ح٤١٤١، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ١١٢/٨، ح٢٧٧٠ .

(٢) النبأ العظيم، دراز، ٥٣–٥٤ .

أسئلة للمناقشة

١) يطلق الوحي في اللغة على معان عدة اذكرها .

٢) ما معنى الوحي في الآيات التالية؟

قال الله تعالى:(**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)** [القصص: ٧] ، وقال الله تعالى: (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)** [الأنعام: ١٢١]، وقال الله تعالى:(**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)** [مريم: ١١]، قال الله تعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ)** [الأنفال: ١٢٦].

٣) عرف الوحي اصطلاحًا، ثم بيّن صوره.

٤) ما معنى صلصلة الجرس؟

٥) ما أشد حالات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم.

٦) هل يمكن أن تتحقق ظاهرة الوحي؟

٧) اذكر أدلة إمكانية الوحي.

٨) اذكر بعض الأدلة التي تثبت أن الوحي من الله تعالى، وليس للنبي ﷺ من أمر الوحي شيء.

الفصل الثاني: نزول القرآن

مقدمة:

العلم بنزول القرآن من أهم المباحث، فهو أساس الإيمان بالقرآن و أصل لسائر المباحث القرآنية، فهو أساس البناء.

معنى النزول:

في سورة الإسراء قال الله تعالى:(**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)** [الأسراء: ١٠٥]، وقال:(**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)**[المؤمنون: ٢٩].

ويطلق النزول –لغة– على انحدار الشيء من علو إلى أسفل. ولكن معنى الحلول في المكان والإيواء والانحدار، لا يليق إرادته هنا في إنزال القرآن الكريم؛ لأن القرآن ليس جسمًا.

وعلى ذلك فالإنزال معناه، الإعلام. قال ابن كثير: يقول الله تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل، أي: متضمنا للحق.. ومتضمنًا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه.. بل وصل إليك بالحق، فإنه نزل به شديد القوى، الأمين المكين المطاع.. (١).

المبحث الأول: تنزلات القرآن:

المطلب الأول: التنزيل الأول:

إلى اللوح المحفوظ، ودليل ذلك قوله جل شأنه :(**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢))** [البروج٢١-٢٢]. واللوح المحفوظ هو السجل الجامع لكل ما قضى الله وقدّر، وكل ما كان وما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين .

وأهمية هذه المرحلة تبرز في دلالة الإيمان بهذا اللوح، فهو مظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله عز وجل، ولا ريب أن الإيمان به يقوى إيمان العبد بربه، كما يحمل الناس على السكون والرضا تحت سلطان القدر والقضاء، وصدق الله العظيم إذ يقول:(**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢))** [البروج٢١-٢٢].

المطلب الثاني: التنزيل الثاني:

كان هذا التنزيل الثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة.

والدليل قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)[الدخان: ٣].

وقوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[لقدر: ١].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور،٦٥٦/١١، المصباح المنير، للفيومي، ص٣٠٩، المعجم الوسيط ٩١٥/٢، تفسير ابن كثير ٦٨/٣.

وقوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ)[البقرة: ١٨٥].

دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة، توصف بأنها مباركة، وتسمى (ليلة القدر) وهي من ليالي رمضان، ويتعين أن يكون هذا النزول هو النزول الأول إلى بيت العزة في السماء؛ لأنه لو أريد به النزول الثاني على النبيﷺ لما صح أن يكون في ليلة واحدة، وفي شهر واحد هو (شهر رمضان)؛ لأن القرآن إنما نزل في مدة طويلة (ثلاثة وعشرين عامًا) ونزل في غير رمضان في جميع الأشهر، فتعين أن يكون المراد به (النزول الأول) وقد جاءت الأخبار الصحيحة تؤيد مكان النزول في بيت العزة من السماء الدنيا:

أ. عن ابن عباس ﷺ أنه قال: فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُرَتِّلُهُ تَرْتِيلاً [١].

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال:" أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ، وَكَانَ اللهُ يُنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضَهُ فِي أَثَرِ [٢].

ج. وروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال:" أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ نُجُومًا"[٣] قوله نجومًا: أي أجزاء متفرقة.

حكمة نزوله إلى بيت العزة جملة:

قال السيوطي: "ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله(أي: القرآن) إليهم منجمًا بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله سبحانه باين (أي خالف) بينه وبينها(أي: التوراة والإنجيل)، فجعل له أمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقا، تشريفًا للمنزل عليه" [٤].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم،٦٦٧/٢، ح٤٢١٦، وقال:"صحيح الإسناد ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي، وينظر الإتقان، للسيوطي، ٥٣/١.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢٤٢/٢، ح٢٨٧٨، وقال:" «هذا حديث صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وينظر الإتقان، للسيوطي، ٥٣/١.

(٣) المعجم الأوسط، للطبراني، ١٣١/٢، ح١٤٧٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٤٠/٧:"فيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات". وينظر الإتقان، للسيوطي، ٥٣/١.

(٤) الإتقان، للسيوطي، ص ٥٤،٥٥.

المطلب الثالث: التنزيل الثالث:

وأما التنزيل الثالث فقد كان من السماء الدنيا على قلب النبي ﷺ منجمًا (أي: مفرقا) في مدة ثلاث وعشرين سنة وهي المرحلة الأخيرة التي شع منها النور على العالم، وهي من حين البعثة إلى حين وفاته صلوات الله وسلامه عليه وكان هذا النزول بواسطة جبريل، ودليل ذلك قوله تعالى:(**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**) [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥].

وكان من وراء نزول القرآن منجما أهداف، نستعرضها *في المبحث التالي.*

المبحث الثاني: نزوله منجمًا

المطلب الأول: أدلة نزول القرآن منجمًا .

والدليل على هذا النزول وأنه نزل منجمًا قول الله تعالى: **(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)** [الإسراء: ١٠٦].

وقوله تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢))[الفرقان: ٣٢].

روي أن اليهود والمشركين عابوا على النبي ﷺ نزول القرآن مفرقا، واقترحوا عليه أن ينزل جملة واحدة حتى قال اليهود له: يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى، فأنزل الله هاتين الآيتين ردًا عليهم(١)، وهذا الرد –كما يقول الزرقاني– يدل على أمرين:

أحدهما : أن القرآن نزل مفرقًا على النبيﷺ.

والثاني: أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة، كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى كاد يكون إجماعًا.

ووجه الدلالة على هذين الأمرين: أن الله تعالى لم يكذبهم فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية جملة، بل أجابهم ببيان الحكمة من نزول القرآن مفرقًا، ولو كان نزول الكتب السماوية مفرقًا كالقرآن لرد عليهم بالتكذيب، وبإعلان أن التنجيم هو سنة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل، كما رد عليهم حين طعنوا على الرسول وقالوا:"ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٨٩/٨، ح١٥١٢٧ .

الأسواق" رد عليهم بقوله: **(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا)** [الفرقان: ٢٠] [(١)].

المطلب الثاني: الحكمة من نزول القرآن منجمًا:

ولنزول القرآن الكريم منجمًا حكم جليلة، وأسرار عديدة[(٢)]. نستطيع أن نجملها فيما يأتي وهي:

الحكمة الأولى: وهي (تثبيت فؤاد النبي ﷺ) فقد ذكرتها الآية الكريمة في معرض الرد على المشركين، حين اقترحوا أن ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية السابقة فرد الله عليهم بقوله:(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**) [الفرقان: ٣٢]، وتثبيت قلب النبي ﷺ إنما هو رعاية من الله، وتأييد لرسوله أمام تكذيب خصومه له وإيذائهم الشديد له ولأتباعه. فقد كانت الآيات الكريمة تنزل على رسول الله ﷺ (تسلية) له وشحذا لهمته للمضي في طريق الدعوة مهما اعترضته المصاعب والشدائد، وتقوية لقلبه الشريف، فقد تعهده الله سبحانه وتعالى بما يخفف عنه الشدائد والآلام فكان إذا اشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفًا عما يلقاه، وكانت التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين ليقتدي بهم في صبرهم وجهادهم كما قال تعالى:(**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**)[الأنعام: ٣٤].

وتارة تكون التسلية عن طريق إخبار الرسول باندحار أعدائه وانهزامهم كما في قوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ [القمر: ٤٥]، وقوله:(**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**)[آل عمران: ١٢]، إلى آخر ما هنالك من ألوان التخفيف عن قلب الرسول، وتطييب نفسه وفؤاده، ولا شك أن في تجدد نزول الوحي، وتكرر هبوط الأمين جبريل بالآيات البينات، التي فيها تسلية للنبي ﷺ وفيها الوعد بالنصر والحفظ والتأييد، كان لها أعظم الأثر في تثبيت قلب الرسول لمتابعة الدعوة، والمضي في تبليغ الرسالة الإلهية؛ لأن الله معه، وهل يشعر بالخذلان والفتور من كانت عناية الله تحوطه وعينه ترعاه؟

الحكمة الثانية وهي (التلطف بالنبي ﷺ) عند نزول الوحي، فقد كانت بسبب روعة القرآن وهيبته، كما قال تعالى:(**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**)[المزمل: ٥]، فالقرآن –كما هو مقطوع به– كلام الله المعجز، الذي له جلال ووقار، وهيبة وروعة وهو الكتاب الذي لو نزل على جبل لتفتت وتصدع من هيبته وجلاله كما قال تعالى: **(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**)[الحشر: ٢١]، فكيف إذن بقلب النبي الرقيق، هل يستطيع أن يتلقى جميع

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني،٥٣/١ .

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ٥٣/١، المحرر في علوم القرآن، لمساعد الطيار ص٧٦، دراسات في علوم القرآن للرومي، ص٢٠٨ علوم القرآن الكريم، عتر، ص٢٥ .

القرآن دون أن يتأثر ويضطرب ويشعر بروعة القرآن وجلاله!! ولقد أوضحت السيدة عائشة حال الرسول حين ينزل عليه القرآن، وما يلاقيه من شدة وهول من أثر التنزيل فقالت:" يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ (أي ينفصل) عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا"(١).

الحكمة الثالثة وهي (التدرج في التشريع) فهي جلية واضحة، حيث سلك القرآن الكريم مع البشرية –وخاصة منهم العرب– طريق الحكمة ففطمهم عن الشرك، وأحيا قلوبهم بنور الإيمان، وغرس في نفوسهم حب الله ورسوله، والإيمان بالبعث والجزاء، ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة – مرحلة تثبيت دعائم الإيمان– إلى العبادات فبدأهم بالصلاة قبل الهجرة، ثم ثنى بالصوم وبالزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها، وكذلك فعل في العادات المتوارثة. زجرهم أولاً عن الكبائر، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلاً في نفوسهم كالخمر والربا والميسر، تدرجًا حكيمًا، استطاع بذلك أن يقتلع الشر والفساد من جذوره اقتلاعًا كاملا.

الحكمة الرابعة: فهي (مسايرة الحوادث والوقائع في حينها) والتنبيه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس وأدعي إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق (الدرس العملي) فكلما جدّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حدث منهم خطأ أو انحراف، نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم إلى ما ينبغي فعله وما ينبغي تركه، ويبين لهم مواطن الخطأ في ذلك، خذ مثلاً على ذلك (غزوة حنين) فقد دخل الغرور إلى نفوس المسلمين، وقالوا قولة الإعجاب والاغترار لما رأوا عددهم يزيد على عدد المشركين أضعافًا مضاعفة، حينذاك داخلهم العجب فقالوا: (لن نغلب اليوم من قلة) وكانت النتيجة انكسارهم وانهزامهم وتوليتهم الأدبار، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: (**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥)**)[التوبة: ٢٥]، ولو أن القرآن نزل جملة واحدة لما أمكن التنبيه على الخطأ في حينه، إذ كيف يتصور أن تنزل الآيات في شأن المؤمنين واغترارهم ولم تحدث بعد تلك الواقعة أو الغزوة؟ وكذلك الحال في أخذ الفداء من الأسرى في (بدر) حيث نزل التوجيه السماوي الرائع:(**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**)[الأنفال: ٦٧].

الحكمة الخامسة: (الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم وأنه تنزيل الحكيم الحميد) وفي هذه الحكمة الجليلة يجدر بنا أن ننقل نص ما كتبه الشيخ (محمد عبد العظيم الزرقاني) في كتابه:"مناهل العرفان" حيث جاء برائع البيان فقال رحمه الله تعالى: (الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ ولا كلام مخلوق سواه.. وبيان ذلك:

---

(١) يتفصد عرقًا – يعنى: يسيل عرقًا، ومنه الفصد: قطع العرق . شرح صحيح البخارى لابن بطال ٥١/١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، بدء الوحي ٦/١، ح٢.

أن القرآن الكريم نقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته.. وهنا نتساءل: كيف اتسق القرآن هذا التأليف المعجز؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة، بل تنزل آحادًا مفرقة تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عامًا!!

المطلب الثالث: *ملاحظة على مدة التنزيل:*

تتابع الوحي إلى رسول الله ﷺ بالقرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة تقريبًا: هي الفترة ما بين بدء الوحي ووفاته ﷺ في السنة الحادية عشرة للهجرة[1] وذلك في أرجح الروايات؛ لأنه ﷺ مكث بمكة –قبل أن يهاجر إلى المدينة– ما يقرب من ثلاث عشرة سنة. ثم أقام بالمدينة بعد الهجرة قرابة عشر سنين حتى توفي. ويتفق الرواة على أن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين لكن هناك شيئًا من الخلاف في الفترة التي أقامها بمكة بعد بدء الوحي إليه، هل هي عشر سنين، أم ثلاث عشرة، أم خمس عشرة سنة، ونحن وإن كنا رجحنا فترة الثلاث عشرة سنة –تبعًا لأكثر العلماء– فإننا نشير إلى أنه ليس لهذا الاختلاف في الرواية أي نتيجة عملية فيما يتصل بآيات القرآن والتاريخ المبكر للدعوة الإسلامية؛ لأن كلا من الفترات الثلاث المروية في إقامته بمكة بعد البعثة تتسع لنزول القرآن المكي الذي نزل بها، كما تتسع لكل الأحداث التي مرت بالدعوة الإسلامية وبرسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة.

ولو كان لهذا الخلاف الزمني أي نتيجة عملية تتصل بالوحي وآيات القرآن ولو أنه كان يمكن الوصول فيه إلى يقين أو ما يشبه – لعرضنا له بالتفصيل والاستدلال. على أن هناك دلائل قوية ترجح ما انتهينا فيه وهو فترة الثلاث عشرة سنة.

وأيا ما كان الأمر، فقد تتابع الوحي على رسول الله ﷺ حتى قبيل وفاته.

المطلب الرابع: بين العبرة من نزول القرآن منجمًا والواقع المعاصر:

وإذا كان لنا أن نأخذ العبرة من مراعاة الوحي لظروف البيئة وعاداتها في التدرج في التشريع على النحو السابق، فإننا يجب أن ننتهي إلى أن أية دعوة إلى إعادة تطبيق التشريع الإسلامي على حياة المسلمين في كل مجالاتها يجب أن تضع في اعتبارها عاداتهم التي

---

(١) ينظر: التقويم العربي قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته، العلامة محمود باشا الفلكي، وينظر: مدخل إلى الدراسات الإسلامية د. محمد بلتاجي، ص ١٥٥ وما بعدها.

عايشتها أجيالهم المتتابعة والتي بعدت عن الأوضاع الإسلامية الخالصة، بحيث أصبح من التفكير غير الواقعي أن يتصور إنسان أنه يستطيع إرجاع هذه العادات والأوضاع والأخلاق وأنماط السلوك والتفكير إلى أحكام التشريع الإسلامي بكلمة واحدة وقرار واحد، يفجأ الناس ويفرض عليهم في لحظة واحدة فينصاعون له جميعًا راضين أو ساخطين، إنما الأمر في الحقيقة يحتاج إلى إصلاح عقائد الناس أولاً، وإقناعهم بطرح ما فيها من زيف وضلال. وبعد أن تخلص العقيدة من كل ما يشوبها فإنه يصبح من الممكن بطريق تدريجي تراعى فيه الغاية المقصودة – كما تراعى فيه سيطرة العادات المتحكمة على النفوس– ترويض عادات الناس، بتهيئة الظروف الملائمة التي يقتنعون بها – في مجموعهم– بوجوب تحكيم مفاهيم الإسلام الخالصة في شتى مجالات حياتهم، وتحقيق هذه المفاهيم– حين تطبق بصورة سليمة – لكل ما يهدف إليه الإنسان في حياته الأولى والآخرة من خير وكفاية وسلام نفس وطمأنينة، وإذا صلحت نيات القائمين على ذلك وصح تفكيرهم وإخلاصهم، وتوفرت لهم ظروف ملائمة اقتنع جمهور الناس فيها بهذا الإخلاص ورضوا عنه، فإن هذا التحول نحو الإسلام الخالص في العقيدة والعمل سوف يتحقق بصورة أسرع مما يتصور أكثر الناس تفاؤلاً في هذا الأمر؛ لأن أحكام الإسلام ملائمة تمامًا لفطرة الناس الأصلية التي خلقهم الله عليها، وما تزال بذرة الإسلام حية في نفوس الناس. إن تطبيق الشريعة الإسلامية لا بد أن يبدأ، فالقرآن بدأ بتثبيت العقيدة أولاً ثم جاء دور الأحكام فأنعم به من كتاب دستور حياة وطريق مستقيم.

المبحث الثالث: معرفة أول وآخر ما نزل، وفوائده:

المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن على الإطلاق:

للعلماء في ذلك أقوال عدة، نجملها فيما يلي:

القول الأول: أن أول ما نزل من القرآن سورة (العلق)، وهو قول(ابن عباس، علي، وعائشة، وابن الزبير، وعبيد بن عمير، وعطاء بن يسار، ومحمد بن عباد بن جعفر، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري وعكرمة، ومجاهد، والزهري)[1].

دليله: أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي

---

(١) تفسير الطبري٢٤/٥٢١، تفسير السمعاني٦/٢٥٥،تفسير البغوي ٤ /٥٠٦، زاد المسير، لابن الجوزي: ٩/١٧٥، تفسير القرطبي ٢٠/١١٨، الإتقان، للسيوطي١/٧٤ .

غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤))**الآيات إلى قوله **(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)** [العلق: ١ - ٥][1]... الحديث.

القول الثاني: أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى:**(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** [المدثر: ١].

دليله: ما أخرجه الشيخان[2] عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل أول؟ فَقَالَ: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** فَقُلْتُ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** [العلق: ١] فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)** فَقُلْتُ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)** فَقَالَ: لا أُخْبِرُكَ إِلا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، هَبَطْتُ، فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِيَ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ: **(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)** [المدثر: ١-٣]..

وهذا القول لم يحظ بقبول من العلماء فقد أجاب عنه العلماء بعدة بأجوبة عدة منها:

الأول: قد جاءت عبارات وشواهد في روايات أخرى من قول جابر نفسه ترد هذا القول وهي قوله"..وهو يحدث عن فترة الوحي"، وقوله:" فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ.." [3] ففي هذه العبارات دلالة على أن سورة المدثر ليست أول ما نزل.

الثاني: أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، لا أولية مطلقة.

الثالث: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وأول ما نزل للرسالة :(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

الرابع: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما ﴿اقْرَأْ﴾ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم، ذكره الحافظ ابن حجر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة العلق، ٤/١٨٩٤، ح٤٦٧٠ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة المدثر، باب وربك فكبر٤/١٨٧٥، ح٤٦٤٠، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول ﷺ ١ /١٤٣، ح٢٥٧ . واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المدثر، باب وثيابك فطهر، ٦/ ١٦٢، ح٤٩٢٥.

الخامس: أن جابرًا ﷺ استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته، فيقدم عليه ما روته عائشة رضي الله عنها[١].

القول الثالث: أول ما نزل من القرآن هو سورة" الفاتحة".

قال الإمام الزمخشري:" أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم"[٢].

دليل هذا القول:

ما أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله قال لخديجة: إِذَا خَلَوتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءَ خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الأَرْضِ" فَقَالَ:–ورقة– لا تَفْعَلْ، فَإِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي، فَلَمَّا خَلا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] حَتَّى بَلَغَ {وَلا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: ٧]"[٣]. **قال الإمام البيهقي:" إن كان محفوظًا يحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعدما نزلت عليه اقرأ والمدثر "**[٤] .

وهذا القول لم يحظ بالقبول من العلماء.

قال الحافظ ابن حجر:" وأما الذي نسبه – أي الزمخشري – إلى الأكثر، فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول" [٥].

وقال الإمام الصالحي:" وشذ صاحب الكشاف فقال: إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة. وهذا وهم بلا شك"[٦].

وقال الشيخ الزرقاني:" هذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به على أولية ما نزل مطلقا وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه لا يفهم من هذه الرواية أن الفاتحة التي سمعها الرسول ﷺ كانت في فجر النبوة أول عهده بالوحي الجلي، وهو في غار حراء، بل يفهم منها أن الفاتحة كانت بعد ذلك العهد، وبعد أن أتى الرسول إلى ورقة وبعد أن سمع النداء من خلفه غير مرة وبعد أن أشار عليه ورقة أن يثبت عند هذا النداء حتى يسمع ما يلقى إليه، وليس كلامنا في هذا إنما هو فيما **نزل أول مرة.**

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٦٧٨/٨، الإتقان، للسيوطي١/٧٥-٧٦، مرقاة المفاتيح، للقاري١٠/٥٢٦، مباحث في علوم القرآن، للقطان،ص٦٧ .

(٢) الكشاف، للزمخشري٤ /٧٨١ .

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي،١٥٨/٢، الإتقان، للسيوطي،٧٦/١، قال الحافظ السيوطي: " مرسل، رجاله ثقات .

(٤) المصدر السابق١/٧٦ .

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٧١٤/٨ .

(٦) سبل الهدى والرشاد، للصالحي،٢ /٢٤١ .

الثاني: أن هذا الحديث مرسل، سقط من سنده الصحابي فلا يقوى على معارضة حديث عائشة السابق في بدء الوحي وهو مرفوع إلى النبي ﷺ، فبطل إذًا هذا الرأي الثالث وثبت الأول أيضا[١].

القول الراجح: هو القول الأول القائل: إن أول ما نزل سورة العلق لقوة أدلته، وسلامته من الاعتراض.

قال الإمام النووي:" أول ما نزل من القرآن اقرأ وهذا هو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف" [٢].

وقال الإمام البغوي[٣] والإمام الخازن[٤]:" أكثر المفسرين على أن هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن"

المطلب الثاني: آخر ما نزل:

اختلف العلماء في آخر ما نزل من القرآن على أقوال هي:

١. أن آخر ما نزل آية الدين وهي قوله تعالى**:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)** [البقرة: ٢٨٢]، ودليله ما أخرجه الإمام الطبري عن سعيد بن المسيب:"أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَحْدَثَ الْقُرْآنِ بِالْعَرْشِ آيَةُ الدَّيْنِ"[٥].

٢. أن آخر ما نزل قول الله تعالى **(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)** ([البقرة: ٢٨١] وهو قول ابن عباس، فقد أخرج الإمام النسائي عن ابن عباس قال: آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ(**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**) [٦].

٣. أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى**(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**[البقرة: ٢٧٨].

أخرج الإمام البخاري قال: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَةُ الرِّبَا[١].

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ج١، ص٦٩ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ج٢، ص١٩٩ .

(٣) تفسير البغوي: ج٤، ص٥٠٦ .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: ج٧، ص٢٦٧

(٥) تفسير الطبري، ٦/٤١، ح٦٣١٦، وإسناده ضعيف لإرساله؛ إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به.

(٦) السنن الكبرى للنسائي: كتاب التفسير، قوله تعالى: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله. ٦/ ٠٧، ح١١٠٥٧ .

٤. أن آخر آية نزلت قوله تعالى: **(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)** [النساء: ١٧٦]. ودليله ما رواه البراء ﷺ قال: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ :**(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)** وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ[٢].

القول الراجح: بالنظر إلى الأقوال السابقة يتبين لنا:

أولاً: أن القول الأول القائل: إن آخر ما نزل هو آية الدين، قول مردود لضعفه.

ثانيًا: وأما قول من قال: إن آخر ما نزل (يستفتونك)، فمراده آخر آية في المواريث[٣]، فهي آخرية مقيدة لا مطلقة.

قال الزرقاني:" يمكن نقض هذا الاستدلال بحمل الخبر المذكور على أن الآية آخر ما نزل في المواريث وأن السورة آخر ما نزل في شأن تشريع القتال والجهاد فكلاهما آخر إضافي لا حقيقي[٤].

ثالثًا: أما الأقوال الأخرى فللعلماء فيها رأيان:

الأول: هو الجمع بين هذه الأقوال:

قال السيوطي: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف؛ ولأنها قصة"[٥].

القول الثاني: هو الترجيح بينها:

إن أرجح هذه الأقوال هو قول من قال: إن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ {البقرة آية٢٨١}.

---

(١) المراد بها قوله تعالى: **{يَاالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا}**، والحديث في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ص٣٢/٦، ٤٥٤٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير سورة براءة، ١٧٠٩/٤، ح٤٣٧٧ .

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٢٠٥/٨، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني، ٤٦/٨، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، للسنيكي، ٤٤٦/٧، .

(٤) مناهل العرفان، للزرقاني، ٩٩/١ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ١٠٢/١.

قال الشيخ الزرقاني: أقول ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى:(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: ٢٨١] وذلك لأمرين:

أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة على أن النبي عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله(١).

قلت: الذي تميل إليه النفس هو الجمع بين قول من قال: إن آخر ما نزل آية الربا، وقول من قال: إن آخر ما نزل آية:(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)؛ لأنها متصلة بآية الربا اتصالاً تامًا، وأن القولين مرويان عن ابن عباس.

وقد تنبه إلى ذلك الإمام البخاري فقد ترجم لحديث ابن عباس في آية الربا بقوله باب: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) (٢).

قال الحافظ ابن حجر:" ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه وجاء عنه من وجه آخر، آخر آية نزلت على النبي ﷺ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله"(٣).

المطلب الثالث: أوائل موضوعية.

تناول العلماء أوائل ما نزل بالنسبة إلى موضوعات خاصة، ومن ذلك:

أول ما نزل في الأطعمة:

آية الأنعام:(**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[الأنعام: ١٤٥].

ثم آية النحل:(**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [النحل: ١١٤:١١٥].

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ١/ ٩٩، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن،عبد الجواد خلف ص١٨١، مناهل العرفان، للزرقاني، ١/٧٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله. ٦/٣٢، ٤٥٤٤.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٢٠٥ .

ثم آية البقرة:(**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [البقرة: ١٧٣].

ثم آية المائدة:(**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [المائدة: ٣].

أول ما نزل في الخمر:

آية البقرة: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)** [البقرة: ٢١٩].

ثم آية النساء:(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)**[النساء: ٤٣].

ثم آية المائدة: **(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)** [المائدة: ٩٠-٩١].

أول ما نزل في القتال:

قال ابن عباس: أول آية نزلت في القتال(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**) [الحج: ٣٩] (١).

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل:

١ . بيان العناية الكبرى التي نالها القرآن الكريم، حيث قام علماء الأمة وعلى رأسهم الصحابة الكرام بالضبط والصيانة للقرآن الكريم، حرفًا حرفًا وآية آية، فوعوا حروف القرآن وآياته، وأماكن نزوله، وكان من ثمار ذلك أن سلم القرآن من التحريف والتبديل مصداقًا لقوله تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[الحجر: ٩].

٢ . الوقوف على أسرار التشريع، فلقد نزل القرآن الكريم لمعالجة الأمراض التي توغلت في النفوس البشرية، ونجح القرآن في انتزاع هذه الأمراض والقضاء عليها بأرقى الأساليب التي عرفتها البشرية، واستطاع بمنهجه الحكيم الترقي بالبشرية إلى الكمال، حتى تستقيم الحياة البشرية على المحجة البيضاء.

---

(١) لم نذكر جميع الروايات ، واكتفينا بالبعض، وعلى من يريد الاستزادة فليراجع الموضوع في: مناهل العرفان، للزرقاني، ج١، ص٧١.

٣ . تمييز الناسخ من المنسوخ: فقد ترد الآيتان أو الآيات في موضوع واحد، ويختلف الحكم في إحداهما عن الأخرى، فإذا عرف ما نزل أولاً وما نزل آخرًا، كان حكم ما نزل ناسخًا لحكم ما نزل أولاً.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية، والأحرف السبعة

المطلب الأول: تعريف القراءات، وعلاقتها بالقرآن

أولا: تعريف القراءات لغةً: جمع قراءة، وهي مصدر: قرأ قراءةً وقرآنًا، بمعنى: تلا تلاوةً، وهي في الأصل بمعنى: الجمع والضم. تقول: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته فيه، وسُمِّي القرآن قرآنًا، لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض(١).

ثانيا: تعريف القراءات اصطلاحًا، ومكانتها:

قال العلامة ابن الجزري –رحمه الله–: هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقلها(٢). وإن شرف العلوم من شرف موضوعها، وموضوع علم القراءات كتاب الله تعالى الذي **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** [فصلت: ٤٢]، لذا فإن هذا العلم من أشرف العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا.

ثالثا: علاقتها بالقرآن الكريم:القرآن والقراءات حقيقتان بمعنًى واحد؛ لأن القرآن مصدر مرادف للقراءة، والقراءات جمع قراءة. إذن فهما حقيقتان بمعنًى واحد، كما أن أحاديث نزول القرآن على الأحرف السبعة تدل دَلالة واضحة على أنه لا فرقَ بينهما"(٣).

الدليل على ذلك:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ(٤). قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور،، ١٣٠/١، مادة(قرأ) مختار الصحاح، الرازي، ص٢٢٠ مادة (قرأ) .

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ص٩ .

(٣) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، لعبد القيوم السندي، ص١٣، موسوعة علوم القرآن، عبد القادر منصور، ص١٩٦ .

(٤) وأضاة بني غفار هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأنيث، وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لأنهم نزلوا عنده. فتح الباري، لابن حجر، ج٩، ص٢٨.

وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا(١).

يتضح من هذا الحديث أنه لا فرق بين القرآن والقراءات، وأن كلاهما وحي من الله تعالى.

المطلب الثاني: أقسام القراءات، وأركان القراءة الصحيحة، و هل القراءات السبع هي الأحرف السبعة:

أولا: أقسام القراءات:

١ . متواترة، وهي التي تتوافر فيها أركان القراءة الصحيحة.

٢ . شاذّة، وهي التي فقدت ركنًا من أركان القراءة الصحيحة.

ثانيا: أركان القراءة الصحيحة:

وضع العلماء أركانًا للقراءة، وذلك للتمييز بين القراءات الصحيحة والشاذة، وهي:

١ . صحة سندها بالتواتر إلى رسول الله ﷺ من أول السند إلى آخره.

بأن يرويها عدول ضابطون عن مثلهم من أول السند إلى آخره من غير شذوذ ولا علة قادحة.

٢ . موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

مثال ذلك قراءة ابن عامر: **(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ)** البقرة: ١١٦] بغير واو، في المصحف الشامي فقط(٢)، وفي بقية المصاحف بالواو فلو كانت مخالفة لرسم جميع المصاحف العثمانية، حكم بشذوذها.

٣ . موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

سواء أكان هذا الوجه مجمعا عليه، أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله مع قوته، ولا يشترط في قبول القراءة أن تكون موافقة لأفصح الأوجه، أو لوجه مجمع عليه بين النحاة، ولذلك لا يُعبأ بقدح بعض النحاة في بعض الأوجه(٣).

وقد لخصها ابن الجزري بقوله:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسنادًا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة(٤)

---

(١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ٥٦٢/١، ح٢٧٤ .

(٢) مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود الأندلسي، ٢٠٢/٢ .

(٣) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد سالم محيسن،١٩/١ .

(٤) طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ص٣٢ .

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق على القراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة[١]:

ثالثا: هل القراءات السبع هي الأحرف السبعة؟

يعتقد بعض الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، وهذا خطأ.

قال العلامة مكي بن أبي طالب" إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة، فمن بعدهم عليه[٢].

المطلب الثالث: حكم تعلم القراءات:

تعلم القراءات فرض كفاية، فإن لم يكن يصح له إلا واحد، تعين عليه، وإن كان جماعة يحصل المقصود ببعضهم، فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين، وإن طلب من أحدهم وامتنع فأظهر الوجهين أنه لا يأثم لكن يكره له ذلك إن لم يكن له عذر[٣].

المطلب الرابع: أهم المؤلفات في علم القراءات:

كثرت المؤلفات في القراءات ما بين منظوم ومنثور، ومطوَّل ومختصر؛ كما تنوعت اتجاهاته.

وأهم المؤلفات في علم القراءات:

١) (السبعة في القراءات) لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، ابن مجاهد البغدادي، المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

٢) (الإبانة عن معاني القراءات) لمكي بن أبي طالب بن القيسي المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

٣) (حرز الأماني ووجه التهاني) نظم في القراءات السبع، للإمام الشاطبي، المتوفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

٤) (إبراز المعاني من حرز الأماني – شرح على الشاطبية) لعبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبي شامة المتوفى سنة خمس وستين وستمائة.

٥) (تحبير التيسير في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة) وكتاب (النشر في القراءات العشر) وهما للإمام محمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة.

---

(١) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٩/١ .

(٢) الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب ص٣٢ .

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ص١٦.

المطلب الخامس: الأحرف السبعة

أولا: المراد بالأحرف السبعة:

قال القرطبي:" اختلف الناس في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا..."[١]، وقال السيوطي:" اختلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولا"[٢]

أهم هذه الأقوال:

القول الأول: أن المراد بالأحرف السبعة سبع قراءات. وهو قول الخليل بن أحمد، واختاره الخازن[٣]

وهذا القول ضعيف، ضعفه كثير من العلماء. بل ذهب الإمام الزركشي إلى أنه أضعف الأقوال[٤]. وقال الإمام القرطبي:" وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه"[٥].

القول الثاني: المراد بالأحرف السبعة: معاني كتاب الله تعالى وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد وقصص، ومجادلة، وأمثال"

ورد هذا القول كثير من أهل العلم: منهم الإمام الطبري[٦]، والإمام ابن عطية[٧]

القول الثالث: المراد سبع لغات من لغات العرب[٨] نزل عليها القرآن[٩]

قال أبو بكر الباقلاني رحمه الله:" هذا باطل"[١٠].

---

(١) تفسير القرطبي ٤٢/١ .

(٢) الإتقان، للسيوطي،١٣٠/١ .

(٣) التمهيد لابن عبد البر٢٧٤/٨، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن١٢/١، البرهان في علوم القرآن، الزركشي،٢١٤/١، الإتقان، للسيوطي،١٣٠/١ .

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي،٢١٤/١ .

(٥) تفسير القرطبي، ٤٦/١ .

(٦) تفسير الطبري، ٤٨/١ .

(٧) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٤٤.٤٣/١ .

(٨) اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثروا، وقال بعضهم: أصل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر؛ لأن النبي ﷺ استرضع فيهم، ونشأ وترعرع، وهو مخالط في اللسان كنانة، وهذيلا، وثقيفا، وخزاعة، وأسدا، وضبة وألفافها، لقربهم من مكة، وتكرارهم عليها، ثم من بعد هذه تميما ، وقيسا، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب . البرهان في علوم القرآن، الزركشي،٢١٩/١ .

(٩) المحرر الوجيز، لابن عطية٤٥/١، فتح الباري، لابن حجر،٩ /٢٧، روح المعاني، للألوسي ١ /٢١ .

(١٠) المحرر الوجيز، لابن عطية٤٤/١، ونكت الانتصار للباقلاني(٤٠٣هـ) ص١١٩، ط(منشأ المعارف، الإسكندرية، تحقيق د، محمد زغلول سلام .

القول الرابع: المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي وقع فيها الاختلاف. وهو قول الباقلاني[١]. وهو مردود؛ لأنه لا يتفق والحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة التوسعة والتسهيل ولم يقصد به الحصر. وإليه جنح القاضي عياض[٢].

وهو مردود؛ لأن المراد حقيقة العدد.

القول السادس: وهو القول الراجح: أن معنى الأحرف السبعة: سبعة أوجه من المعاني المتفقة المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وإليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي.

قال علي وابن عباس: «نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب»[٣].

وهو الذي عليه أكثر أهل العلم: ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن جرير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والطحاوي، وابن عبد البر، ومال إليه الحافظ ابن حجر[٤].

قال العلامة أبو شامة: «هذا هو الحق، لأنه إنما أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغي أن يوسع على قوم دون قوم، فلا يكلف أحد إلا قدر استطاعته"[٥].

قال البقاعي:" وهذا في غاية الموافقة للأحاديث الذاكرة أن السبب في المراجعة: التخفيف على الأمة"[٦].

قال الزرقاني:" وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث"[٧].

وقد اختاره من المتأخرين كل من الدكتور محمد سالم محيسن[٨]، والدكتور محمد أبو شهبة[٩]، وغيرهما، وأطالا في الاستدلال لصحته، ورد الاعتراضات الواردة عليه.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر٨/٢٩٥، المحرر الوجيز، لابن عطية١ /٤٣، تفسير القرطبي١/٤٥، البرهان في علوم القرآن، الزركشي،١/٢١٤ / عمدة القاري، البدر العيني،١٢/٢٥٩ .

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ١/١٢، عمدة القاري، البدر العيني،١٢/٢٥٩،عون المعبود، للعظيم آبادي،٤/٢٤٥، مناهل العرفان، للزرقاني، ١/١٢١ .

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة ١/٩٦ .

(٤) الاستذكار لابن عبد البر٢/٤٨٢، البرهان في علوم القرآن، الزركشي،١/٢٢٠، فتح الباري، لابن حجر،٩/٢٨، الإتقان، للسيوطي، ١/١٣٢ /سبل الهدى والرشاد، للصالحي،١٠/٢٨٨، روح المعاني، للألوسي١/٢٠ .

(٥) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة ١/٩٧ .

(٦) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي ١/٣٨٩ .

(٧) مناهل العرفان، للزرقاني،١/١٢٣.

(٨) القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن١/٢١ .

(٩) المدخل لدراسة القرآن، لأبي شهبة ص٢٠٢.

وله أدلة كثيرة تؤيده منها:

١ . أخرج الإمام أبو عبيد بسنده عن عبد الله قال: سَمِعْتُ الْقِرَاءَةَ فَوَجَدْنَاهُمْ مُتَقَارِبِينَ، اقْرَءُوا مَا عُلِّمْتُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالاخْتِلافَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ(١).

٢. وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكرة: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: اسْتَزِدْهُ. فَاسْتَزَادَهُ قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ. قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. فَاسْتَزَادَهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، نَحْوَ قَوْلِكَ: تَعَالَ وَأَقْبِلْ، وَهَلُمَّ وَاذْهَبْ، وَأَسْرِعْ وَاعْجَلْ"(٢).

قال الإمام الطبري:" فقد أوضح نصُّ هذا الخبر أنّ اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ، كقولك"هلم وتعال" باتفاق المعاني، لا باختلاف معانٍ موجبةٍ اختلافَ أحكامٍ"(٣).

ثانيا: بعض الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

أخرج الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول ﷺ قال: "أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »(٤).

وعن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد، ١٧٣، ح٧١٦، وصححه الشيخ مجدي السيد، وينظر تفسير الطبري،١/٥٠، ح٤٨ . قال الشيخ شاكر:" إسناده عال جدًا .

(٢) مسند أحمد ٣٤/١٤٦-١٤٧، ح٢٠٥١٤، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد٧/١٥١، وقال: "فيه علي ابن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ وقد توبع وبقية رجال أحمد رجال الصحيح"، وجوده السيوطي والقاري، ينظر:الإتقان، للسيوطي،١ /١٣٣، مرقاة المفاتيح، للقاري١/٤٥٥ .

(٣) تفسير الطبري١/٥٠ .

(٤) صحيح البخاري: كتاب الفضائل، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ٦/١٨٤، ح٤٩٩١.

الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا"[١].

ثالثا: حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

للتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفًا لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق، وحبيب الحق؛ حيث أتاه جبريل فقال له: (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومعونته؛ إن أمتي لا تطيق ذلك...)[٢].

وذلك أن الأنبياء –عليهم السلام– كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي، ﷺ، بعث إلى جميع الخلق: أحمرها، وأسودها، عربيها، وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر.

بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج؛ لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا –كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم؛ لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع[٣].

قال ابن قتيبة في كتاب (المشكل): فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ، بأن يُقرِئ كل أمةٍ بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم.. ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه؛ ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة، فأنزل الله برحمته، ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات، ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليه في الدين[٤].

المطلب السادس: فوائد اختلاف القراءات وتعدد الحروف[٥]:

١– فيها دليل قاطع على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين قال تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢].

---

(١) سبق تخرجه .

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ٥٦١/١، ح٢٧٤ .

(٣) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ٢٢/١ .

(٤) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص٣٢ .

(٥) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري٥٣/١، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة المتخصصين، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٣٣٣/١، القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد سالم محيسن ٣٩/١ .

٢- ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة؛ إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به ﷺ.

٣- فيها دلالة على عظمة هذه الأمة؛ حيث تلقت القرآن الكريم بالحروف المختلفة، ووعتها، وأحكمت ضبطها، وهي مَنْقَبَةٌ عظيمة، وميزة لها كبرى، تنفرد بها عن سائر الأمم.

٤- ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم، والأجر على قدر المشقة.

٥- أجلّ حكمة وأعظمها هي التيسير على الأمة في أمر القراءة والتخفيف عنها، رُوعي في ذلك اختلاف اللغات واللهجات، كما روعي في ذلك جميع الفئات: من شيخ كبير، وطفل صغير، وامرأة عجوز، ومن لم يقرأ كتابًا قط.

٦- فيها سهولة الحفظ وتيسير النقل، فحفظ كلمة ذات وجوه مختلفة أيسر من حفظ جمل من الكلام على وجه واحد.

٧- فيها يظهر إعجاز القرآن ويتجلى بإيجاز الكلام، فتقرأ كلمة واحدة بأكثر من وجه وهي برسم واحد، فتدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرار اللفظ وإعادة الخط، مثل كلمة (أرجلكم) في قوله تعالى:(**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)** [المائدة ٦]. فقد قرئت بالنصب والجر[١]، فالنصب يقتضي فرض الغسل، عطفًا على الأيدي والوجه، أما الخفض فيقتضي فرض المسح، عطفًا على الرؤوس.

٨- الجمع بين حكمين مختلفين، كقوله تعالى: **(وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)** [البقرة ١٢٢] قال ابن خالويه:" قوله تعالى ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ يقرأ بالتشديد والتخفيف"[٢]. فقراءة التخفيف(يَطْهُرْنَ) أي بانقطاع الحيض، وقراءة التشديد(يَطَّهَرْنَ) تفيد الطهر بالماء، فلا بد من الطهرين كليهما في قرب النساء"[٣].

---

(١) فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، محمد إبراهيم سالم، ٥٥٠/٢.

(٢) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٩هـ١٩٩٨م، ط: الأولى، ص٢٠٣ .

(٣) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٤٨/١.

المطلب السابع: مراتب القراءة.

ثلاثة: التحقيق، والحدر، والتوسط.

أما التحقيق: التأني في القراءة بإشباع المدات، وتحقيق الهمزات، وإتمام الحركات، وتبيين الحروف، وتحقيق مخارجها وتوفية الغنات.

والتحقيق: هو قراءة النبي ﷺ فقد روى عن أم سلمة رضي الله عنها،أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا، حرفا[1].

وأما الحدر: فهو إدراج القراءة والإسراع بها، وذلك بتخفيف الأحكام مما يصح في التجويد، القراءة به.

وأما التوسط: فهو مرتبة بين التحقيق والحدر، وهو المختار عند أكثر أهل القراء.

وقد اختلف علماء القراءات في أيهما أفضل: التحقيق أم الحدر، فقال قوم: التحقيق؛ لأنه يساعد على الفهم.

وقال آخرون: الحدر؛ لأنه يمكن القارئ من الإكثار من كمية المقروء من الآيات.

قال ابن القيم: الصواب في المسألة أن يقال إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر (التحقيق) أجل وأرفع قدرا، وثواب كثرة القراءة (الحدر)، أكثر عددا، فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدا قيمته نفيسة جدا، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددا من العبيد، قيمتهم رخيصة [2].

المطلب الثامن: آداب التلاوة.

ذكر العلماء مجموعة من الآداب لقارئ القرآن ومستمعه، نلخصها فيما يلي:

- يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، كل على حسب قدرته.
- صرّح مجموعة من العلماء، بأن نسيانه كبيرة، لحديث"من قرأ القرآن ثم نسيه، لقى الله يوم القيامة أجذم"[3].
- يستحب الوضوء لقراءة القرآن؛ لأنه أفضل الذكر.
- يُستحب أن يجلس مستقبلاً القبلة، متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه.
- يُسن أن يستاك تعظيماً وتطهيراً، لحديث "إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك"[4].

---

(١) مسند أحمد، ١٩٠/٤٤.

(٢) زاد المعاد، ابن القيم، ١٣١/١.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، ٥٤٩/١، ح١٤٧٤.

(٤) سنن ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب السواك، ١٩٤/١، ح٢٩١.

• يُسن التعوذ قبل القراءة لقوله تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)** [النحل:٩٨].

• المحافظة على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة"براءة".

• يُسن الترتيل في قراءة القرآن لقوله تعالى(**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)** [المزمل: ٤].

• تُسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم.

• لا بأس بتكرير الآية وترديدها.

• يستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه.

• يُسن تحسين الصوت بالقراءة لحديث الدارمي:"حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً"(١).

• القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه؛ لأن النظر فيه عبادة.

• يكره قطع القراءة لمكالمة أحد، فضلاً عن الكراهية مع الضحك والعبث.

• لا تجوز قراءة القرآن بالأعجمية مطلقاً، سواء، أحسن العربية أم لا، في صلاة أو خارجها.

• يُسن الاستماع لقراءة القرآن، وترك اللغط والحديث بحضور القراءة.

• يُسن السجود عند قراءة آية السجدة.

• يُستحب التكبير من"الضحى" إلى آخر القرآن، ويسن صوم يوم الختم والدعاء عقبه.

• يُكره أن يقول نسيت آية كذا، بل أَنسيتها، للنهي عن ذلك.

---

(١) مسند الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن، ٢١٩٤/٤، ح3544 .

أسئلة للمناقشة:

١) ما تنزلات القرآن مع ذكر الدليل.

٢) كيف توفق بين الآيات الآتية:

٣) قال تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)**[الدخان: ٣]، وقوله تعالى:(**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**[القدر: ١]، وقوله تعالى: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ)**[البقرة: ١٨٥].

٤) ما حكمة نزوله إلى بيت العزة جملة؟

٥) اذكر حِكَم نزول القرآن الكريم منجمًا، واشرح اثنين منها بالتفصيل.

٦) ما أول ما نزل من القرآن؟

٧) كيف ترد على من زعم أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى :(**يا أيها المدثر)**[المدثر: ١].

٨) وضح أقوال العلماء في آخر ما نزل من القرآن.

٩) ما أول ما نزل في الأطعمة؟ ، وما أول ما نزل في الخمر؟، وما أول ما نزل في القتال؟

١٠) بيّن فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل.

١١) عرّف القراءات، وبيّن علاقتها بالقرآن.

١٢) ما أقسام القراءات؟

١٣) ما أركان القراءة الصحيحة؟

١٤) كيف ترد على من زعم أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.

١٥) وضح المراد بالأحرف السبعة، وبيّن حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف.

١٦) لاختلاف القراءات فوائد عدة، اذكر ثلاثة منها.

١٧) بيّن مراتب القراءة، وآداب التلاوة.

الفصل الثالث: المكي والمدني

ليس المقصود هنا أن نستقصي بالتفصيل آيات القرآن الكريم وسوره. وأن نحقق ما كان منها مكيًا وما كان مدنيًا، فتلك محاولة كبيرة جديرة أن تفرد بالتأليف، وقد أفردها فعلاً بالتأليف جماعة منهم عز الدين الديريني(٦٩٤هـ) ومكي بن حموش القيسي (٤٣٧هـ).

ولكن حسبنا هنا أن نتكلم على تعريفات المكي والمدني، وعلى فضل العلم بالمكي والمدني، وعلى الطريق الموصلة إليه، وعلى الضوابط التي يعرف بها، وعلى السور المكية والمدنية المختلف فيها، وعلى أنواع السور المكية والمدنية، وذلك في المباحث التالية.

المبحث الأول: تعريف المكي والمدني

للعلماء في تعريف المكي والمدني أقوال أهمها[١]:

(الأول) أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي ﷺ بمنى وعرفات والحديبية. ويدخل في المدينة ضواحيها أيضًا كالمنزل عليه في بدر وأحُد.

وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول كما ترى، لكن يرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما كقوله سبحانه في سورة التوبة:(**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ**) [التوبة: ٤٢] إلخ فإنها نزلت بتبوك[٢]، وقوله سبحانه في سورة الزخرف:(**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**) [الزخرف: ٤٥] إلخ فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء [٣].

(الثاني) أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة، وعليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ {يَا أَيُّهَا النَّاس} فهو مكي؛ وما صدر فيه بلفظ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهو مدني؛ لأن الكفر كان غالبًا على أهل مكة فخوطبوا بلفظ {يَا أَيُّهَا النَّاس}، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم. ولأن الإيمان كان غالبًا على أهل المدينة، فخوطبوا بلفظ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم أيضًا. وألحق بعضهم {يَا بَنِي آدَم} بصيغة {يَا أَيُّهَا النَّاس}.

وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترى لكنه غير دقيق لورود أشكال من الخطاب غير الصيغ المذكورة نحو: (**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**) [الأحزاب: ١] إلخ .

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٩٣/١، دراسات في علوم القرآن، للرومي، ص٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٣٦١/٢.

(٣) السورة مكية.

ونحو قوله سبحانه في سورة المنافقين:(**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)** [المنافقون: ١] إلخ.

إضافة إلى أن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة" يَا أَيُّهَا الناس"، وهناك آيات مكية صدرت بصيغة" يَا أَيُّهَا الذين آمنوا". مثال الأولى سورة النساء، فإنها مدنية وأولها" يَا أَيُّهَا الناس اتقوا ربكم"، وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها" يَا أَيُّهَا الناس أعبدوا ربكم" ومثال الثانية سورة الحج فإنها مكية مع أن في أواخرها" يَا أَيُّهَا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا" الخ ولو قيل أن المراد الغائب لصح.

(الثالث) وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل هجرته ﷺ إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد هجرته ﷺ إلى المدينة وإن كان نزوله بغير المدينة.

وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

وعليه فآية: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)** [المائدة: ٣] مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

وكذلك آية:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)** [النساء: ٥٨]، مدنية مع أنها نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة(١).

والواضح أن هذه التعريفات تميل إلى القياس الذي يعتمد على العقل، علمًا بأن أفضل الطرق للمعرفة السليمة هما الاتجاهان السماعي والقياسي، السماعي: يعتمد على النقل، والقياسي، يعتمد على العقل وهما أساسا المعرفة السليمة.

المبحث الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني:

من فوائد العلم بالمكي والمدني:

أ. تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفًا للحكم في غيرها، ثم عُرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرًا إلى تأخر المدني عن المكي.

ب. معرفة تاريخ التشريع وتدرجه بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

---

(١) الإتقان، للسيوطي،١/٧٤-٧٥ .

ج. الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف، ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام، حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر؛ وما نزل بالنهار وما نزل بالليل، وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف، إلى غير ذلك[1].

المبحث الثالث: كيفية معرفة المكي والمدني، وضوابطهما.

المطلب الأول: كيفية معرفة المكي والمدني:

لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك (الاتجاه النقلي)؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا بحاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانًا.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ « وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ: إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ، تَبْلُغُهُ الإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[2].

المطلب الثاني: ضوابط معرفة المكي والمدني[3]:

قد عرفنا فيما مضى أن مرد العلم بالمكي والمدني هو السماع عن طريق الصحابة والتابعين، بيد أن هناك علامات وضوابط يعرف بها المكي والمدني.

أولا: ضوابط المكي:

١. كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية. وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاث وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة كلها في النص الأخير من القرآن وذلك؛ لأن كلا للتهديد والتعنيف، وهو ما يليق بحال الجبابرة الذين هم بمكة، وهذا ضابط مطّرد، فالسور المدنية ليس بها سجدة.
٢. كل سورة فيها سجدة فهي مكية، وهذا ضابط مطرد، فالسور المدنية ليس بها سجدة.
٣. كل سورة مفتتحة بالحمد فهي مكية، وهي خمس سور (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر)
٤. كل سورة في أولها حروف التهجي، فهي مكية سوى سورتي البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع. وفي الرعد خلاف.

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٩٥/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ١٨٧/٦، ح٥٠٠٢ .

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، ١٦١/١، مناهل العرفان، للزرقاني، ١٩٦/١، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد،ص٣٤، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة ص٢٢٦، إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل عباس، الأردن، دار الفرقان، ط١، ١٩٩٧م: ١٧٢/١.

٥. كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى سورتي البقرة وآل عمران.
٦. كل سورة فيها قصة آدم وابليس فهي مكية سوى سورة البقرة أيضًا.
٧. كل سورة انفردت ب(يا أيها الناس) دون نداء المؤمنين فهي مكية مثل سورة يونس، وسورة الأعراف، أما إذا اجتمع النداءان فالسورة مدنية كسورة البقرة وسورة النساء.
٨. كل سورة فيها لفظ(يا بني آدم) بالنداء فهي مكية.

ثانيًا: ضوابط المدني: فكما يأتي:

١. كل سورة فيها الحدود والفرائض(الميراث)فهي مدنية، كسورة النساء، والمائدة، والنور.
٢. كل سورة فيها (ياأيها الذين آمنوا) فقط وليس فيها (يا أيها الناس).
٣. كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية.
٤. كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية، ما عدا سورة العنكبوت فهي مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى منها، فإنها مدنية، وهي التي ذكر فيها المنافقون.

المطلب الثالث: مقاصد المكي والمدني[1]:

اتسم القرآن الكريم بمنهج فريد في معالجة قضايا المجتمع، ويظهر لنا هذا بوضوح من خلال ما امتاز به المدني عن المكي.

أولا: مقاصد المكي:

١- يعنى القرآن المكي أولاً بترسيخ الأصول الاعتقادية التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية، وهي توحيد الله -عز وجل، وإفراده بالعبادة، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته تعالى، وتصديق الرسل في كل ما جاءوا به، والإيمان بالكتب المنزَّلة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، إلى آخر ما هنالك من الأصول الاعتقادية.
٢- وعُنِيَ القرآن المكي أيضًا كلَّ العناية بالقضاء على ما ورثوه عن آبائهم، وما ابتدعوه من عند أنفسهم من عادات سيئة، ومعتقدات فاسدة، كسفك الدماء، وأكل مال اليتيم، ووأد البنات، والتطفيف في الكيل والميزان، وغير ذلك من الرذائل.
٣- ودعاهم إلى أصول التشريعات العامة، والآداب السامية، بوصفها برهانًا عمليًّا على سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد، وجاء التفصيل لهذه الأصول في القرآن المدني، ووضع لها الشروط والقواعد والضوابط.

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ٢٠٢/١، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد، ص٣٤، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة ص٢٢٧ .

٤- ولتثبيت هذه الأصول والمعتقدات الصحيحة في قلوب الناس جميعًا؛ مؤمنين وكافرين، كما عُنِيَ القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة، لما فيها من عظاتٍ وعِبَرٍ وتبيانٍ لسنة الله تعالى في هلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين.

٥- ومن خواص هذا القسم قِصَرُ معظم آياته وسوره، ولا سيما أوائل ما نزل، ولعل ذلك كان كذلك ليتمكن المؤمنون من حفظه بسهولة ويسر، فهم في أول عهدهم به لم تتعوَّد ألسنتهم على النطق به مرتلاً، كما أمر الله تعالى أن يُتْلَى، وفيهم الشيخ الكبير، والمرأة المسنة، والطفل الصغير، وأكثرهم أمِّيُّون، فكيف يستطيعون قراءة الآيات الطويلة المقاطع، وهم لم يتعودوا بعد على مثل ذلك، فكان من رحمة الله بهم أن أنزل الله هذه السور القصيرة في آياتها ومقاطعها ليتمكنوا من حفظها وتلاوتها في يسر ونشاط.

ثانيًا: أما مقاصد القرآن المدني فهي -كما قلنا- تابعة للمقاصد السابقة، ومبنية عليها، ومبيِّنَة لمجملها، ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

١- بيان الأحكام العقدية والشرعية بالتفصيل، بيانًا يكشف دقائقها وأسبابها، وشروط صحتها، والحكمة من تشريعها.

٢- ظهرت في العهد المدني تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، وفريضة الحج، وتحريم الخمر، وتحريم الربا، وغير ذلك.

٣- الكشف عن أحوال المنافقين، الذين كانوا أشدَّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين، وبيان ما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر وخداع، وحرصٍ وطمع، وإعلام المسلمين بمآلهم بعد إعلامهم بحالهم، إيصائهم باتخاذ الحيطة والحذر من كيدهم وألاعيبهم، ومراقبتهم في جميع تصرفاتهم المغرضة، ومجاهدتهم بالحجة والبرهان، والإغلاظ عليهم في القول والمعاملة، مع بذل النصح لهم بالرجوع إلى الله تعالى، والتمسُّك بدينه الحنيف.

٤- دعوة أهل الكِتَاب إلى الإسلام ومجادلتهم بالحُجَّة والبرهان في معتقداتهم الباطلة، وشبههم المزيفة، وبيان جناياتهم على الكتب السماوية بالتحريف والتبديل، وردِّهم عن غيِّهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام.

المطلب الرابع: مقاصد الشريعة والعلاقة بين المكي والمدني:

لاحظ الشاطبي -رحمه الله- تلك العلاقة، فمقاصد التشريع العليا، وأسسه الكبرى، تم إرساؤها في القرآن المكي، جنبا إلى جنب مع أصول العقيدة وأسسها. ثم بيّن ذلك - رحمه الله- بإرجاع الأصول الخمسة إلى أدلتها من القرآن المكي:

أما حفظ الدين وتصحيح الإيمان وتثبيته في القرآن المكي، فمسألة أشهر وأوضح من أن تحتاج إلى دليل أو مثال، حتى لقد شاع - خطأ- أن القرآن المكي لا يحتوي إلا على هذا، وهي الفكرة

التي يصححها الإمام الشاطبي من خلال بيان ما اشتمل عليه القرآن المكي من قواعد وكليات تشريعية.

وأما حفظ النفس، فقد نص عليه في كثير من الآيات المكية كقوله تعالى: **(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)** الإسراء: ٣٣] وقوله: **(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)** [التكوير: ٨ – ٩]، وغيرهما.

وحفظ النفس يتضمن حفظ العقل. وأما"تكميل" حفظ العقل، فقد جاء في المدينة بتحريم المسكرات، وإقامة الحد عليها. فالحفظ الأول أساس الحفظ الثاني، وهذا هو المراد بيانه في هذا السياق. حفظ النسل، أيضًا، جاء بمكة، بتحريم الزنى، والأمر بحفظ الفروج عن الحرام. وكذلك حفظ المال، يحققه ما جاء في المكي من تحريم الظلم، وأكل مال اليتيم والإسراف، والبغي، ونقص المكيال والميزان، والفساد في الأرض.

ومن هذا الباب أيضًا: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما ضروريان لحفظ الأصول المتقدمة، قد جاء النص عليهما بمكة، كما في الآية: **(يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ)**[لقمان: ١٧]. وما الجهاد الذي شرع بالمدينة إلا فرع من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

حتى موضوع"النسخ"، استصحب الشاطبي معه مقاصده وكلياته: فأعاد التذكير –في المسألة الأولى من مسائل النسخ– بأن"القواعد الكلية هي الموضوعة أولا، والتي نزل بها القرآن على النبي ﷺ بمكة، ثم تبعها أشياء بالمدينة، كملت بها القواعد التي وضع أصلها بمكة.

وليس هذا من الشاطبي مجرد تكرار لفكرته عن التشريع بين المكي والمدني، على أهميتها، وإنما أعاد الفكرة هنا، وفصل فيها أكثر، لما يريد أنه يبنيه عليها في موضوع النسخ، وذلك قوله –في المسألة الثانية–:"لما تقرر أن المنزل بمكة من أحكام الشريعة هو ما كان من الأحكام الكلية، والقواعد الأصولية في الدين، على غالب الأمر، اقتضى ذلك أن النسخ فيها قليل لا كثير؛ لأن النسخ لا يكون في الكليات وقوعًا، وإن أمكن عقلاً.

ويدل على ذلك الاستقراء التام، أن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وجميع ذلك لم ينسخ منه شيء، بل إنما أتى بالمدينة مايقويها ويحكمها ويحصنها. وإذا كان كذلك. لم يثبت نسخ لكلي ألبتة. ومن استقرى كتب الناسخ والمنسوخ تحقق هذا المعنى، فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها، والجزئيات المكية قليلة.

وعند تطرقه إلى الحديث عن السنة– بعد الحديث عن القرآن– وقف وقفة أخرى، استخدم فيها النظرة "المقاصدية"، في الربط بين أدلة الشريعة، قرآنا وسنة، وفي الربط بين مناحي البناء التشريعي بكلياته وجزئياته.

فكما أنه –رحمه الله– لاحظ أن القرآن المدني بتفصيلاته، قد بني على القرآن المكي وكلياته،

لاحظ أيضًا –وبيّن– أن السنة قد بنيت –بشكل تام– على القرآن الكريم؛ لأن مدارهما واحد، هو مقاصد الشريعة في إقامة المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية[1].

أسئلة للمناقشة:

١) اذكر أقوال العلماء في تعريف المكي والمدني، مع بيان الراجح.
٢) ما فوائد العلم بالمكي والمدني؟
٣) ما طرق معرفة المكي والمدني؟
٤) للمكي والمدني ضوابط عدة، اذكر ثلاثة منها.
٥) ما مقاصد المكي والمدني؟
٦) قارن بين المكي والمدني من حيث التعريف ، والضوابط، والمقاصد.
٧) ميز المكي من المدني فيما يأتي مع ذكر السبب.

قال تعالى: **(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)**.

قال تعالى :**(وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ)** الانشقاق: ٢١.

قال تعالى:**(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)** [القلم،١].

قال تعالى: **(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)** [القيامة: ٢٠].

قال تعالى: **(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)** [ق: ١].

(١) ينظر: الموافقات ، الشاطبي ٤٦/٣-٤٧، نظرية المقاصد عند الشاطبي ، أحمد الريسوني ،١٥١/١ وما بعدها .

الفصل الرابع: في جمع القرآن وكتابته وترتيبه

المبحث الأول: جمع القرآن.

مدخل: تطلق كلمة"جمع" ويراد بها كتابة حروف القرآن وكلماته وآياته وسوره، وقد يراد بها حفظه واستظهاره في الصدور. والأولى مقصود هنا. وقد حدث الجمع في ثلاث مرات: الأولى في عهد النبي ﷺ، والثانية في خلافة أبي بكر الصديق، والثالثة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقد نسخت المصاحف في المرة الثالثة وأرسلها عثمان إلى الآفاق.

المطلب الأول: جمع القرآن في الصدور:

لقد بلغ من حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن، أنه كان يحرك لسانه به في أشد حالات حرجه وشدته، وهو يعاني ما يعاني من الوحي وشدته، كان فعله استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه، حتى اطمأن إلى ذلك من خلال وعد ربه له قال تعالى:(**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)).** [القيامة: ١٦ – ١٩](١).

أما الصحابة رضي الله عنهم، فكان اهتمامهم شديدًا بالقرآن الكريم، فكانوا يتنافسون في حفظه وفهمه وتلاوته حتى كان لهم به دوى كدوي النحل، ووصل الأمر أن جعلوا القرآن مهر الزوجة؛ يعلمها إياها(٢).

لقد حفظ القرآن مجموعة كبيرة من الصحابة، جمعوه في قلوبهم ووعوه بعقولهم؛ لأن هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم، ولأن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب.

منهم: الخلفاء الأربعة وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وابن مسعود، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبوه، وغيرهم من المهاجرين، ومن الأنصار: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وأبو زيد.

أما رواية أنس عند البخاري والتي جاء فيها عن قتادة قَالَ : سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ : أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو زَيْدٍ"(٣).

فقد أجاب عنها العلماء بعدة أجوبة هي:

١ – فلا يلزم أن يكون غيرهم جمعه.

---

(١) سورة القيامة آية ١٦–١٧

(٢) مسند الشافعي ٣/٣٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ،٦/١٨٧ . ح٥٠٠٣ .

٢ – المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.
٣ – إن المراد بجمعه تلقيه من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة بخلاف غيرهم.
٤ – أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم.
٥ – المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا على ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب(١).
٦ – قال ابن حجر: "المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، بقرينة المفاخرة(٢)، فلا ينفي ذلك من غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم"(٣).

كتابته في عهد الرسولﷺ:

اتخذ النبي ﷺ مجموعة من أصحابه ليقوموا بمهمة كبيرة، هي كتاب القرآن الكريم، وعرفوا هؤلاء"بكتّاب الوحي" فكان النبيﷺ عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته، زيادة في التوثيق. منهم: معاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وخالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب، وكانوا يكتبون على العُسُب(٤) واللِخَاف(٥) والرِّقاع(٦)، والأكتاف(٧)، وقطع الأديم(٨). ومما هو معلوم أن النبي ﷺ كان يدلهم على موضع المكتوب من سورته.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٢٤٦/١، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي، ٣٣٤/١١، المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ص٢٦٤.

(٢) وحديث المفاخرة في المستدرك على الصحيحين ٨٠/٤ ح٧٠٦٩ ونصه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :افْتَخَرَ الْحَيَّانِ مِنَ الأَنْصَارِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، فَقَالَتِ الأَوْسُ : مِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ الدَّبْرُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الأَقْلَحِ، وَمِنَّا مَنْ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّونَ : مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا الْقُرْآنَ لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٥١/٩.

(٤) العُسُب: جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض منه. تهذيب اللغة، الأزهري،٦٨/٢ .

(٥) اللِخَاف: حجارة بيض رقاق . تهذيب اللغة، الأزهري، ١٦٨/٧ .

(٦) الرِّقاع: جمع رُقْعة، وهي التي يكتب فيها، وتكون من جلد أو كاغد. لسان العرب، ١٧٠٥/٣، مادة (رقع).

(٧) الأكتاف: جمع كتف، وهو عظم عريض يكون في أَصل كتف الحيوان من الناس والدوابّ، كانوا يكتُبون فيه لقِلة القَراطِيس . لسان العرب، لابن منظور، ٢٩٤/٩.

(٨) الأديم: الجلد المدبوغ والجمع: أدم . المصباح المنير، للفيومي ص١١.

وهكذا انقضى العهد النبوي الزاهر والقرآن مجموع على هذا النمط، بيد أنه لم يكتب في مصاحف، بل كتب منثورًا كما رأينا.

وفي علة عدم كتابته في مصحف، يقول الخطابي"إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه من الله على هذه الأمة [1].

ويُبيّن زيد بن ثابت طريقته في كتابة القرآن فيقول: " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ"[2].

وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي ﷺ، وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يقول"ضعوا كذا في موضع كذا" ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر في ذلك إلا عن أمر الله عز وجل.

وهذا ما دعا البيهقي لقول: شبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ[3].

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ:

دارت الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، واستشهد فيها كثير من القراء. هال ذلك المسلمين وأزعجهم، خشية ضياع القرآن بموت حفظته، فاقترح عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يجمع القرآن الكريم.

لقد تردد أبو بكر رضي الله عنه أول الأمر وما ذلك إلا؛ لأنه كان شديد الاتباع لرسول ﷺ.. لذا تردد كثيرًا في هذا الأمر، وما زال عمر رضي الله عنه به حتى شرح الله صدره، لأن جمع القرآن من أعظم الوسائل النافعة إلى حفظ الكتاب الشريف والمحافظة عليه من الضياع والتحريف وأنه ليس من محدثات الأمور.

تنفيذ الاقتراح:

كان لا بد أن يفكر أبو بكر الصديق في من يقوم بهذه المهمة، وكان لا بد أن يمتلك من يقوم بهذا العمل المؤهلات التي تؤهله لهذا العمل الجليل، وتتمثل فيه مواهب واستعدادات خاصة، قد لا تجتمع في غيره من الرجال.

وها نحن ندع المجال لزيد بن ثابت ليحدثنا عن هذه الواقعة:

---

(١) الإتقان، للسيوطي،٢٠٢/١.

(٢) المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، تأليف القرآن في عهد رسول الله ﷺ، ٦١١/٢، ح٤٢٤٠.

(٣) شعب الإيمان ٣٤٣/١.

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال : أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﭼ[التوبة: ١٢٨]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"(١).

سبب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق:

دلت الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن سبب جمعه يعود إلى خوف الصحابة رضوان الله عليهم من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفاظه باستشهادهم في المعارك أو موتهم، فكتابته مجموعا في مصحف واحد فيه أمان وحفظ له مما قد يحصل في المستقبل، ويدل لهذا ما أفصح عنه عمر رضي الله عنه ـ كما في الحديث السابق– بقوله:"إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن" فذهاب بعض القراء قد يعني ذهاب الآخرين، فبهذا العمل أمكن تدارك الأمر منذ بدايته.

المؤهلات التي استوجبت تقديم زيد ين ثابت لجمع القرآن:

من الرواية السابق يتبين لنا أن اختيار الصديق زيد بن ثابت لجمع القرآن لم يأت محاباة منه، إنما كان هذا الاختيار؛ لأن زيدًا انفرد بمواصفات خاصة تميزه عن غيره، وقد أفصح الصديق رضي الله عنه كما في الحديث السابق، أنه قال لزيد:" إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه". ويمكن لنا تلخيص هذه المؤهلات في الآتي:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ١٨٣/٦، ح٤٩٨٦.

١. أنه رجل شاب، ولا يخفى على أحد ما يتميز به الشباب من النشاط، والاستمرار في العمل بلا فتور.
٢. أن زيدًا كان من حفظة القرآن.
٣. أنه كان من كتّاب الوحي، فهو يَخبُر هذا العمل، وهذه مزية تستوجب تقديمه.
٤. أنه كان معروفًا برجاحة عقله وشدة ورعه.
٥. أمانته واستقامته، ومن كان كذلك فلا يتطرق إليه تجريح أو غيره.
٦. تميزه بشدة الضبط وحسن الخط، وإلا لما كان من كتّاب الوحي.
٧. أنه شهد العرضة الأخيرة.

لهذه الأسباب وغيرها كان اختيار الصديق رضي الله عنه لزيد بن ثابت وكان اختيارًا موفقًا، خلا أن زيدًا لم يوافق أول الأمر، وإنما تردد فلم يزل الصديق يراجعه حتى شرح الله صدره لهذا الأمر.

ويعلل ذلك ابن بطال فيقول: "إنما نفر أبو بكر أولا، ثم زيد بن ثابت ثانيا، لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول[١]".

مواصفات الجمع:

لقد انتهج زيد في القرآن طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر، فيها ضمان وتثبت وحذر بالغ، فلم يكتف بما حفظ قلبه ولا بما كتبه بيده ولا بما سمعه بإذنه؛ بل اعتمد على مصدرين:

أحدهما: ما كتب بين يدي الرسول ﷺ.

الثاني: ما كان محفوظًا في صدور الرجال. وفيما يلي بعض المواصفات:

قال يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان[٢].

ويدل عليه ما أخبر به هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد: اقْعدَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَمَنْ جَاءَكُمَا بِشَاهِدَيْنِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاكْتُبَاهُ[٣].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/٩ .

(٢) المصاحف لابن أبي داود ص١١٣،الإتقان، للسيوطي، ٢٠٥/١ .

(٣) المصاحف لابن أبي داود ص٥١، قال ابن حجر: رجاله ثقات مع انقطاعه . فتح الباري، لابن حجر، ١٤/٩.

وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبًا، وإنما كان يطلب شاهدين، يشهدان أن هذا المكتوب كتب بين يدي النبي ﷺ أو روجع على قراءته، أو سمعه وأقره. وكان ذلك مبالغة في الاحتياط.

فليس المقصود بالشهادة هنا الشهادة على قرآنية المكتوب إنما" المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل فيها القرآن.

وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، لا من مجرد الحفظ.

وروى عن الليث بن سعد قال: أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ أَبُو بَكْرٍ وَكَتَبَهُ زَيْدٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكَانَ لا يَكْتُبُ آيَةً إلا بِشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَإِنَّ آخِرَ سُورَةٍ بَرَاءَةٍ لَمْ تُوجَدْ إلا مع أَبِي خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالَ: اكْتُبُوهَا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فَكَتَبَ. وَإِنَّ عُمَرَ أَتَى بِآيَةِ الرَّجْمِ فَلَمْ يَكْتُبْهَا، لأَنَّهُ كَانَ وَحْدَهُ[1].

قال علي ﷺ: إن أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر الصديق، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين"[2].

وقد قوبلت تلك الصحف التي جمعها زيد بما تستحق من عناية فائقة، فحفظها أبو بكر عنده، ثم حفظها عمر بعده، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر حتى طلبها عثمان بن عفان ﷺ حيث اعتمد عليها في استنساخ مصاحف القرآن ثم ردها إليها.

مميزات جمع أبي بكر:

امتاز جمع أبي بكر بما يأتي:

١. أن القرآن حظي بأعلى طرق التثبت والاستيثاق.

٢. أنه كان مرتب الآيات.

٣. اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.

٤ . تميزه بالدقة والسلامة من الزيادة والنقصان.

٥. اشتماله على الأحرف السبعة.

٦. ظفر بإجماع الأمة وتواتر ما فيه.

تسميته بالمصحف: روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه المصاحف أنه قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسمًا، فقال بعضهم: السِّفْر.

---

(١) رواه أبو داود، وهو حديث رجاله ثقات وإن كان منقطعًا. قال ابن حجر: المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة. ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٥/٩.

(٢) المصاحف لابن أبي داود ص٤٩ .

وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف.

وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه"المصحف"(١).

المطلب الثالث: الجمع في عهد عثمانﷺ:

سبق أن قلنا: إن القرآن جمع كله في عهد الخليفة الأول أبي بكر، وظلت هذه الصحف عنده ثم انتقلت إلى عمر بن الخطاب في خلافته ثم إلى السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ليكون مصونًا محفوظًا يرجع إليه عند الحاجة.

بقيت تلك الصحف عند السيدة حفصة حتى خلافة عثمان ﷺ فلما اتسعت الفتوحات في زمن الفتوحات في زمن عثمان، واستجد العمران وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول والوحي والتنزيل، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر منهم من الصحابة، فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان الشقاق أشد، لبعد عهد هؤلاء بالنبوة وعدم وجود الرسول بينهم يطمئنون إلى حكمه ويرجعون جميعًا إلى رأيه.

واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضًا، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، ولم يقف هذا الخلاف عند حد، بل كاد يلفح بناره جميع البلاد الإسلامية حتى الحجاز والمدينة، وأصاب الصغار والكبار على السواء.

وها هو الإمام البخاري يروي لنا سبب جمع عثمان للقرآن:

أخرج البخاري عن أنس أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا

(١) الإتقان، للسيوطي،١/١٨٥ .

نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ[1].

أضف إلى ذلك أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار ولم يكن من السهل عليهم أن يعرفوها كلها، حتى يتحاكموا إليها فيما يختلفون، بل كان كل صحابي في قطر يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف والشقاق البعيد.

لهذه الأسباب والأحداث، رأى عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع، وأن يستأصل الداء قبل أن يعز الدواء، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر منهم، وأجال الرأي بينه وبينهم في علاج هذه الفتنة، ووضع حدًا لذلك الاختلاف، وحسم مادة هذا النزاع، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف ترسل إلى الأمصار، وحرق كل ما عداها، وألا يعتدوا بسواها، وبذلك يرأب الصدع ويجبر الكسر، وتعتبر تلك المصاحف العثمانية الرسمية نورهم الهادي، وحكمهم العدل في ذلك النزاع والمراء. وشفاءهم الناجع من مصيبة ذلك الداء[2].

تنفيذ قرار الجمع:

وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم، في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من الصحابة وثقات الحفاظ، وهم:

١. زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، أحد كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو الذي كلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع المصحف في عهده. توفي سنة ٤٢هـ وقيل ٤٣هـ وقيل ٤٥هـ[3].

٢. عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، أحد العبادلة الذين اشتهروا بالعلم، وعنوا بحفظ القرآن الكريم. توفي سنة ٧٣هـ[4].

٣. سعيد بن العاص القرشي الأموي، كان من فصحاء قريش، ومما قيل فيه: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبه الصحابة بلهجة رسول الله ﷺ. توفي سنة ٥٩هـ[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن،١٨٣/٦، ح٤٩٨٧.

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ٢٥٧/١ .

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٥٣٧/٢، الأعلام للزركلي، ٥٧/٣.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٤٠/٢٨، سير أعلام النبلاء، ٣٦٣/٣.

(٥) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٢١/٥، التاريخ الكبير، للبخاري، ٥٠٢/٣.

٤. عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي، كان من أشراف قريش، نشأ في حجر عمر، وتزوج بنت عثمان رضي الله عنهم، مات سنة ٤٣هـ[١].

وجاء في بعض الروايات أن الذين ندبوا للنسخ كانوا اثنى عشر رجلاً.

ولا تنافي بين الروايات، إذ الأربعة هم من يباشرون هذا العمل، وساهم الباقون معهم في هذا العمل الذي تنوء به الجبال.

منهج عثمان في نسخ المصاحف:

وضع عثمان رضي الله عنه لنسخ المصاحف منهجًا حكيمًا تمثل في الآتي:

١ . الاعتماد على الصحف التي جمعها زيد بن ثابت – رضي الله عنه – في عهد أبي بكر الصديق، والتي كانت عند حفصة رضي الله تعالى عنها، حيث قال لها:"أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك".

٢ . تعاهده المستمر لهذا العمل، قال كثير بن أفلح:"كان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه"[٢].

أخرج البخاري أن ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة) قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ: هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ **:(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا)** [البقرة: ٢٣٤] إِلَى قَوْلِهِ (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [البقرة: ٢٤٠] قَدْ نَسَخَتْهَا الأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ قَالَ :تَدَعُهَا يَا ابْنَ أَخِي، لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ[٣].

٣ . كتابة ما تحققوا أنه قرآن قد استقر في العرضة الأخيرة، وأيقنوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ، وتركوا ما سوى ذلك.

٤ . الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة.

٥ . كتابة الكلمات التي تواترت فيها القراءات برسم يحتمل القراءات الواردة فيها، وساعد على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط.

نحو (فتبينوا) من قوله تعالى**:(يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)** [الحجرات: ٦] فإنها تصح أن تقرأ"فتثبتوا" عند خلوها من النقط والشكل وهي قراءة أخرى[٤].

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ٣٩/١٧، الأعلام، للزركلي، ٣٠٣/٣ .

(٢) المصاحف لابن أبي داود، ص١٠٥ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا ٦/ ٣١، ح٤٥٣٦ .

(٤) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري٢٥١/٢ .

وكذلك كلمة"ننشزها" من قوله تعالى:(**وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا**) [البقرة: ٢٥٩] فكان تجردها من النقط والشكل يجعلها تقرأ"ننشزها" و"ننشرها"(١).

٤ . أما الكلمات التي تواترت فيها القراءات ولا يمكن كتابتها برسمها وتحتمل القراءات فيها، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية، كقراءة"وصى" بالتضعيف (وأوصي) بالهمز، وهما قراءتان في قوله تعالى: (**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ**) [البقرة: ١٣٢](٢).

٥ . الاحتكام عند الاختلاف إلى لغة قريش، حيث قال عثمان بن عفان – رضي الله عنه – للرهط القرشيين الثلاثة:"إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم" (٣).

حرق عثمان للمصاحف والصحف المخالفة للمصاحف التي نسخت:

بعد أن أتم عثمان نسخ المصاحف بالصورة السابقة، عمل على إرسالها وإنفاذها إلى الأقطار، وأمر أن يحرق كل ما عداها مما يخالفها، سواء أكانت صحفًا أو مصاحف وذلك ليقطع عرق النزاع من ناحية، وليحمل المسلمين على الجادة في كتاب الله من ناحية أخرى، فلا يأخذوا إلا بتلك المصاحف التي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها.

وقد استجاب الصحابة لعثمان، فحرقوا مصاحفهم، واجتمعوا جميعًا على المصاحف العثمانية، حتى عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان وأنه أبى أن يحرق مصحفه، رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة، حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية، واجتماع الأمة عليها، وتوحيد الكلمة بها.

فرضي الله عن عثمان وأرضاه، إذ قام بهذا العمل الجليل، وحافظ على القرآن، وجمع كلمة الأمة، وأغلق باب الفتنة، ولا يبرح المسلمون يقطفون من ثمار خيره العظيم.

ولن يقدح في عمله هذا أنه أحرق المصاحف والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية، فقد علمت وجهة نظره في ذلك، على أنه ما فعل من هذا الأمر الجليل إلا بعد أن استشار الصحابة، واكتسب موافقتهم، بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم، فكان ذلك إجماعًا منهم على ذلك.

مزايا جمع عثمان رضي الله عنه:

١. الاقتصار على ما يثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحادًا.

٢. إهمال ما نسخت تلاوته.

---

(١) التيسير في القراءات السبع، للداني ص٨٢ .

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للداني ص١٠٦ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن٦/١٨٣، ح٤٩٨٧.

٣. ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن بخلاف صحف أبي بكر فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.
٤. كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن، على ما مر بك من عدم إعجامها وشكلها، ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.
٥. تجريدها من كل ما ليس قرآنا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحًا لمعنى، أو بيانًا لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك.

عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه:

اختلف العلماء في عدد المصاحف التي نسخت، فمن قائل: خمسة مصاحف وهو المشهور وقد أرسلت إلى: مكة، والشام، والبصرة، والكوفة، والخامس بقي في المدينة.

وقول آخر: أنها سبعة أرسلت إلى: مكة، ومصر، والبصرة، والكوفة، والشام، واليمن، والمدينة.

وقول ثالث: أنه أرسل مصحفًا للبحرين. وهناك قول أنها ستة، وقول أنها ثمانية. وعلى أية حال هذا خلاف لا داعي له ولا يمثل شيئًا، فالذي نثق فيه أن عثمان بن عفان استنسخ عددًا من المصاحف تفي بحاجة الأمة الإسلامية وقتها. والأهم أن نعرف أن عثمان بن عفان اختار حفاظًا يثق بهم وأنفذهم إلى الأقطار الإسلامية لتعليم الناس[١].

ويقال لهذه المصاحف (العثمانية)، فهي ليست مكتوبة بخط عثمان، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه وإمارته[٢].

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ٤٠٣/١ وينظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٢١٧/٧، المصاحف، لابن أبي داود ص ٢٤.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير ٢١٧/٧، فضائل القرآن لابن كثير ص ١٥.

المبحث الثاني: ترتيب الآيات والسور.

المطلب الأول: ترتيب الآيات:

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفي من النبي ﷺ، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، فقد كان جبريل ينزل بالآيات على رسول الله ﷺ ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النبي ﷺ على أصحابه ويأمر كتّاب الوحي بكتابتها، معيّنًا لهم السورة التي تكون فيها الآية وموضع الآية من السورة.

الأدلة:

قال السيوطي:" الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"(١).

قال زيد بن ثابت: كنا عند النبي ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ(٢).

قال البيهقي: والمراد تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ(٣).

وقال عثمان بن عفان- رضي الله عنه-: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا(٤).

ويكفي ثبوت الترتيب قراءته ﷺ لسور كثيرة بمشهد من الصحابة رضوان الله عليهم ثم نقلهم للتابعين على مثل ذلك، حتى وصل إلينا ذلك من غير خلاف.

ومنها: ما روى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا، إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ شَخَصَ بِبَصَرِهِ فَقَالَ: » أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ :(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [النحل: ٩٠] إلى آخرها(٥).

---

(١) الإتقان، للسيوطي،٢١١/١ .

(٢) مسند أحمد ٤٨٤/٣٥

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي٣٤٣/١ .

(٤) سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة التوبة ٢٧٢/٥، ح٣٠٨٦.

(٥) مسند أحمد ٤٤١/٢٩ .

ومنها ما أخرجه مسلم عن عمر قال:.. مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَلا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟[1].

فقد دلّه النبي ﷺ على موضع تلك الآية من سورة النساء.

المطلب الثاني: ترتيب السور:

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضًا، أو هو باجتهاد من الصحابة؟ في ذلك آراء للعلماء.

القول الأول: ترتيب اجتهادي:

قال ابن فارس في كتاب المسائل الخمس: جمع القرآن على ضربين **أحدهما** تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولته الصحابة، **وأما الجمع الآخر** وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي، تولاه النبي ﷺ[2].

وقد اعتمد أهل هذا الرأي على أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان، فلو كان هذا الترتيب توقيفيًا منقولاً عن النبي ﷺ ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات[3].

وهذا الدليل يمكن الرد عليه بأن اختلاف من خالف من الصحابة في الترتيب إنما كان قبل علمهم بالتوقيف.

القول الثاني: ترتيب توقيفي:

قال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ[4].

قال عبد الرحمن بن زيد سَمِعتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلادِي [5].

فذكر ابن مسعود السور نسقا كما استقر ترتيبها.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، ٨١/٢، ح٥٦٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٣٧/١ .

(٣) المصدر السابق، ٢٥٣/١ .

(٤) الإتقان، للسيوطي،٢١٧/١ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تأليف القرآن، ١٨٥/٦، ح٤٩٩٤.

وعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا[قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ]، و[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]، و[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ]...(١).

وعن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ(٢).

قال أبو جعفر النحاس:"وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ: وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن(٣).

وأيد هذا الرأي أبو بكر الأنباري فقال: أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريل والنبي ﷺ على موضع السور والآيات والحروف. كله من النبي ﷺ فمن قدم سورة أو آخرها أفسد نظم القرآن(٤).

واحتج أهل هذا القول بأن السور المتجانسة في القرآن لم يلتزم فيها الترتيب والولاء، ولو كان الأمر بالاجتهاد للوحظ مكان هذا التجانس والتماثل دائمًا، لكن ذلك لم يكن بدليل أن سور المسبحات لم ترتب على التوالي بينما هي متماثلة في افتتاح كل منها بتسبيح الله. بل فصل بين سورها بسورة"قد سمع" والممتحنة والمنافقين" وبدليل أن"طسم الشعراء وطسم القصص" لم يتعاقبا مع تماثلهما، بل فصل بينهما بسور أقصر منها وهي"طس النمل"(٥).

وهذا القول هو الراجح لقوة أدلته.

قال العلماء: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب، تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، بحسب الآتي:

أ- بحسب الحروف كما في الحواميم.

ب-الموافقة بين أول السورة لآخر ما قبلها،كآخر الحمد الله، وأول البقرة.

ج-للتوازن في اللفظ،كآخر"تبت" وأول" الإخلاص".

د-المشابهة بين جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح (١).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات ١٩٠/٦، ح٥٠١٧.

(٢) مسند أحمد ١٨٨/٢٨، ح١٦٩٨٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٥٨/١ .

(٤) مناهل العرفان، للزرقاني، ٣٥٥/١ .

(٥) مناهل العرفان، للزرقاني، ٣٥٥/١ .

(١) سواء كان هذا الترتيب توقيفيا أو اجتهاديا، فلابد من احترامه، والعمل به، خصوصا في كتابة المصاحف، لأنه يمثل إجماعا صدر من الصحابة، ولأن الخلاف فيه يؤدي إلى فتن كبيرة وفساد عظيم، فوجب سده.

ترتيب السور في التلاوة:

ترتيب السور في التلاوة، ليس بواجب، إنما هو مندوب. قال النووي في التبيان"قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب سواء أقرأ في الصلاة أم في غيرها..".

ودليل ذلك أن هذا ترتيب المصحف وهو لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه.

ولو خالف الموالاة فقراء سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها جاز وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف(١).

قراءة السورة من آخرها إلى أولها:

هذا ممنوع قطعًا؛ لأنه يذهب ببعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات(٢).

وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن، وليس من هذا الباب.

المطلب الثالث: تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي:

ناقش مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثانية عشرة بمكة المكرمة ١٤١٠هـ/١٩٩٠ هذا الموضوع، وبعد الاطلاع على قرار هيئة كبار العلماء بالرياض رقم (٧١) بتاريخ ١٣٩٩/١٠/٢١هـ قرر عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه ليكون حجة خالدة على عدم التسرب أو التغيير أو التحريف، أما الحاجة إلى تعليم القرآن وتسهيل قراءته على الناشئة التي اعتادت الرسم الإملائي الدارج، فإنها تتحقق عن طريق تلقين المعلمين، فالمعلم يتولى تعليم الناشئة خاصة الكلمات القليلة التي وردت في القرآن مثل"الصلوات" و"السماوات" ونحوهما كما يجري مثل ذلك في رسم كلمة" هذا وذلك" في قواعد الإملاء الدارجة.

كما قرر المجلس عدم جواز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حاليًا إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي(١).

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط٣، دار ابن حزم – بيروت – لبنان، ص٢٣٠.

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ٣٥٩/١ .

(١) ينظر: غاية المرام شرح مغنى ذوي الأفهام، الشيخ عبد المحسن العبيكان ٢١٩/٢ وما بعدها.

أسئلة للمناقشة

١) ما المراد بجمع القرآن؟

٢) تشتمل الآيات التالية على عدة دلالات بيّنها.

قال تعالى:(**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**) [القيامة: ١٦ – ١٩].

٣) اذكر أسماء بعض حفظة القرآن من الصحابة، وهل هم أربعة كما جاء في حديث أنس عند البخاري؟

٤) وضح معنى ما يأتي: (العُسُب، اللِخَاف، الرِّقاع، الأكتاف).

٥) هل جمع القرآن الكريم بين دفتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ولم .

٦) ما المؤهلات التي استوجبت تقديم زيد ين ثابت لجمع القرآن؟

٧) وضح أسباب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق، ومن الذي أشار بذلك؟

٨) ما مميزات جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن؟

٩) ما أسباب نسخ القرآن الكريم في عهد عثمان؟

١٠) بيّن منهج عثمان رضي الله عنه في نسخ المصاحف.

١١) هل يقدح في عثمان رضي الله عنه حرقه للمصاحف، ولم؟

١٢) ما مزايا جمع عثمان رضي الله عنه؟

١٣) هل جمع أبو بكر وعثمان المصاحف على الأحرف السبعة أم على حرف واحد؟

١٤) كم عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه؟

١٥) قارن بين جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن الكريم وجمع عثمان رضي الله عنه.

١٦) اشح الحديث الآتي، ثم بين موضع الشاهد في ضوء ما درست.

عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ.

١٧) هل ترتيب آيات القرآن اجتهادًا أم توقيفًا؟

١٨) بيّن مذاهب العلماء في ترتيب السور مع الترجيح بالأدلة.

١٩) بيّن حكم ترتيب السور في التلاوة، ثم حكم قراءة السورة من آخرها إلى أولها.

٢٠) هل يجوز تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي؟

الفصل الخامس: أسباب النزول

مقدمة:

إن المقصد من دراسة أسباب النزول –هنا– ليس هو الوقوف على معرفة سبب نزول الآيات القرآنية، آية آية، وإنما المقصود الوقوف على نقاط أسباب النزول من حيث تعريفها، وطرق معرفتها، وفوائدها، إلى غير ذلك من موضوعات، ونحاول الربط بين أسباب النزول من حيث إنه فن إسلامي أصيل وبين ما يمكن أن يستفيد منه المسلمون في حياتهم المعاصرة وبخاصة في المنهج التعليمي.

وبين يدي –القارئ الكريم– نوضح بدايات التصنيف في أسباب النزول، فقد ذكر السيوطي – رحمه الله– أن الإمام علي بن عبد الله المديني(ت٢٣٤هـ) من أقدم من أفرد معرفة أسباب النزول بالتصنيف، ولكن هذا المصنف غير مشتهر، كما أشار إلى أن شيخ الإسلام أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ) وضع مصنفًا، مات عنه مسودة[١].

ومن أقدم ما وصل إلينا في أسباب النزول، كتاب" **أسباب النزول**" للإمام الواحدي (ت٤٦٨هـ) ذكر فيه أسباب نزول الآيات الكريمة، مسندة إلى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، أو من دونهم، وقد طبع الكتاب مرارًا.

ومن هذه المصنفات أيضًا كتاب" **لباب النقول في أسباب النزول**" للحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) لخص كتابه من جوامع الحديث والأصول، ومن تفاسير أهل النقول، وقد طبع مرارًا.

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ١٠٧/١ .

المبحث الأول: تعريف سبب النزول لغة واصطلاحًا:

المطلب الأول: تعريف سبب النزول لغة:

يعرف السَّبَب في عرف أهل اللغة بأنه: الحبل، وكل شيء يتوصل به إلى غيره فهو سَبَب، ويقال للطريق: سبب ومنه قوله تعالى:(**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ)** [الحج آية {١٥}][١].

وأسباب ورود الحديث هي الظروف والملابسات التي قيل الحديث فيها.

والسَبَب في الشريعة: عبارة عما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه[٢].

وفي العرف العام: هو كل شيءٍ يتوصل به إلى مطلوب[٣].

المطلب الثاني: تعريف سبب النزول اصطلاحًا:

هو:" ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة حكمه أيام وقوعه"[٤].

والمعنى: أن حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله – تعالى– ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب السؤال"[٥].

المراد بقوله" أيام وقوعه"

هي" الظروف التي ينزل فيها القرآن متحدثًا عن ذلك السبب سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة أم تأخر عنه مدة لحكمة من الحكم"[٦].

وقوله" أيام وقوعه" قيد لا بد منه للاحتراز عن الآية أو الآيات التي تنزل ابتداء من غير سبب، بينما هي تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلة، كقصص الأنبياء وأممهم وأخبار الساعة وما يتصل بها"[٧].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور،٤٥٨/١، مختار الصحاح، الرازي ص٢٧٣، تاج العروس، للزبيدي، ٣٧/٣ .

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢ /٣١٥، التعريفات، للجرجاني، ص١٥٤.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، ٣١٥/٢ .

(٤) الإتقان، للسيوطي، ١ /٩٤، مناهل العرفان، للزرقاني، ١ /١٠٦–١٠٧ .

(٥) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٠٨/١ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٠٨/١ .

المبحث الثاني: كيفية معرفة سبب النزول؟

قال الواحدي:"لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب[١] .

وقد كان علماء السلف يتورعون عن أن يقولوا شيئًا في ذلك دون تثبت.

قال"محمد بن سيرين": سألت"عبيدة" عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن[٢] وهو يعني الصحابة.

فإذا كان هذا قول"ابن سيرين" من أعلام علماء التابعين تحريًا للرواية، ودقة في الفصل، فإنّه يدل على وجوب التثبت والوقوف عند أسباب النزول الصحيحة.

وعليه فإن العلماء يعتمدون معرفة سبب النزول على أسس منها:

١- صحة الرواية عن رسول الله ﷺ، وهذا لا خلاف فيه.

٢- صحة الرواية عن الصحابة، فإن أخبار الصحابي عن مثل هذا، إذا كان صريحًا لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع.

فقد قال الحاكم في المستدرك[٣]: إن تفسير الصحابي عند الشيخين مسند[٤]، وبه قال الخطيب وأبو منصور البغدادي وابن الصلاح[٥]، وقال آخرون بغير ذلك.

لذا فإن المعتمد في ذلك أقوال الصحابة الصحيحة الصريحة في السببية[٦].

٣ – أما أقوال التابعين فلها شروط هي:

فقد ذهب السيوطي إلى أنّ قول التابعي إذا كان صريحًا في سبب النزول، فإنه يقبل– ويكون مرسلا– إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر[٧].

بيان أن سبب النزول ينحصر في أمرين:

١ . أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها، وذلك كالذي روى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ :**(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)** [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص١٠.

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول، ص١١/ وذكره ابن حجر في العجاب ١٩٩/١، وصححه.

(٣) كتاب التفسير: ج٢، ص٢٥٨ .

(٤) الحديث المسند هو: ما اتصل سنده من أوله إلى منتهاه، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبي ﷺ " تدريب الراوي، للسيوطي ١٨٢/١.

(٥) توضيح الأفكار للحسيني ٢٨١/١ .

(٦) مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح ص٧٥.

(٧) الإتقان، للسيوطي، ١ / ٣١.

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ. فَنَزَلَتْ :(**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**) [المسد: ١] [١].

٢ . أن يسأل رسول الله ﷺ عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر[٢] منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي من ذلك.

عن عائشة قالت: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لاسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا[٣] إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَؤُلاءِ الآيَاتِ (**:قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**) [المجادلة: ١][٤].

هل لكل آية سبب نزول؟.

إن دراسة أسباب النزول، لا يعني أن لكل آية سببًا، فإن القرآن لم يكن نزوله وقفًا على الحوادث والوقائع، أو على الأسئلة والاستفسارات، بل كان القرآن ينزل ابتداء، بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله تعالى في حياة الفرد وحياة الجماعة. ذكر السيوطي عن الجعبري: نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال، ليس لكل آية من القرآن سبب خاص لنزولها، بل من الإفراط أن نتوسع في ذلك الفن، فنلتمس لكل آية سببًا لنزولها تكلفًا وتعنتًا، فهناك من آيات القرآن ما نزل ابتداءً مثل الآيات التي تدعو إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهناك نوع من الآيات ليس له سبب نزول سوى الأسباب العامة التي نزلت من أجلها الشرائع، وهي هداية البشر وتنظيم حياتهم وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم[٥].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، سورة إذا جاء نصر الله، باب قوله :وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب، ١٧٩/٦، ح٤٩٧١ .

(٢) الظهار: قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم الحنفي(٩٧٨هـ)، ص٥٧ .

(٣) أوس بن الصامت.

(٤) سنن ابن ماجه، أبواب الطلاق، باب المظاهر يجامع قبل أن يُكفّر ٢١٤/٣ ح٢٠٦٣، وصححه الأرنؤوط المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة، ٢/ ٥٢٣، ح٣٧٩١ .

(٥) ينظر الإتقان، للسيوطي، ٣٨/١، علوم القرآن والتفسير، د. عبد الله شحاتة ص٩٣.

المبحث الثالث: فوائد معرفة أسباب النزول

ذكر السيوطي: أن بعض الناس زعم أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول، وأنها لا تعدو أن تكون تاريخًا للنزول أو جارية مجرى التاريخ[١]، وسوف نبين أهمية وفوائد هذا العلم من خلال عرض الحكم والفوائد مع إيضاح ذلك بالأمثلة الموضحة:

(الأولى): معرفة حكمة الله تعالى الباعثة على تشريع الحكم، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن؛ أما المؤمن فيزداد إيمانًا على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان – إن كان منصفًا – حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصًا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهدًا على هذا تحريم الخمر والربا وما نزل فيهما[٢].

(الثانية): الوقوف على معنى الآية وإزالة الإشكال عنها، حتى لقد قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها[٣]. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب، يورث العلم بالمسبب أ.هـ[٤].

مثال ذلك:

أُشكل على عروة بن الزبير ﷺ أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة مع قوله سبحانه: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)**[البقرة: ١٥٨]

جاء في الصحيح من حديث هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدِيثُ السِّنِّ: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:(**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)** [البقرة: ١٥٨]، فَمَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : كَلا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ، كَانَتْ: فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ[٥]، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطَّوَّفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٣٨/١ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٢/١، مناهل العرفان، للزرقاني ١٠٩/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٢/١ – ٢٣.

(٤) الإتقان، للسيوطي، ٣٨/١.

(٥) قُدَيد : جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه. المباركفورى–تحفة الأحوذي: ٢٤٢/٨.

اللهُ: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)** [البقرة: ١٥٨][١].

وإشكاله نشأ من أن الآية الكريمة نفت الجناح، ونفي الجناح لا يتفق والفرضية في رأيه، وبقي في إشكاله هذا حتى سأل خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأفهمته أن نفي الجناح هنا ليس نفيًا للفرضية، إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين يومئذ من أن السعي بين الصفا والمروة من عمل الجاهلية[٢].

وهنا يتبين لنا فقه السيد عائشة رضى الله عنها ومكانتها، فقد أزالت اللبس الذي وقع فيه عروة رضي الله عنه، وبينت له أن الآية جاءت لتزيل الحرج من نفوس المسلمين الذين كانوا يتحرجون من السعي بين الصفا والمروة .

الثالثة: دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر: نحو قوله سبحانه:(**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)** [الأنعام: ١٤٥] [٣].

فالآية قد حصرت المحرمات من المطعومات في أربعة هي: الميتة، ولحم الخنزير، والدم، وما أهل لغير الله.

ولما كانت المحرمات غير محصورة في هذه الأربعة، اختلف العلماء في المراد بالحصر فذهب البعض إلى أن الحصر في الآية حقيقي، وذهب البعض إلى أن الحصر هنا غير مراد.

وسبب نزول الآية هو الذي يبين المعنى المراد ، وكان من أبرع من تنبه إلى هذا هو الشافعي رحمه تعالى حيث قال:" إنّ الكفار لمَّا حرَّموا ما أحلَّ الله، وأحلُّوا ما حرَّم الله، وكانوا على المضادَّة والمحادّة جاءت الآية مناقضة لغرضهم. فكأنه قال: لا حلال إلَّا ما حرمتموه، ولا حرام إلَّا ما أحللتموه. نازلاً منزلة من يقول لك: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلَّا حلاوة، والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة. فكأنه تعالى قال: "لا حرام إلَّا ما أحللتموه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به" ولم يقصد حِلَّ ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم، لا إثبات الحِلّ"[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير ، باب قوله إن الصفا والمروة من شعائر الله ٢٣/٦، ح٤٤٩٥ .

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ١١٠/١ .

(٣) سورة الأنعام ١٤٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن، ٢٣/١، وينظر : الأم، للشافعي، ٢٠٧/٢. ط/ الشعب.

(الرابعة): تخصيص الحكم بالسبب، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، لا بعموم اللفظ، فآيات الظهار في بداية سورة المجادلة سببها أن أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة.

فذهب الجمهور إلى أن العبرة بعموم اللفظ، أي أن لفظ الآية يشملهما ويشمل كل من فعل فعلهما، وذهب البعض إلى أن العبرة بخصوص السبب، وعليه فالآية تخص من نزلت فيه، أما غيره ممن فعل فعله، فإنه يدخل بالقياس أو بدليل آخر.

وبدهي أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه، إلا إذا علم السبب. وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة"[1].

(الخامسة): تثبيت الوحي، وتيسير الحفظ والفهم، وتأكيد الحكم في ذهن من يسمع الآية، إذا عرف سببها؛ وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص، والأزمنة والأمكنة، كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء؛ وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند تذكر ما يقارنها، وذلك فيما يعرف في علم النفس بقانون «تداعي المعاني»[2].

(السادسة): معرفة أسباب النزول تفيد في تعيين الشخص الذي نزلت فيه الآية حتى لا يشتبه بغيره فيظلم بها بريئًا كالذي ذكر في قوله تعالى:(**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** [الأحقاف ١٧].

ففي الصحيح عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ: كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ، اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ، فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا، فَقَالَ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ: **(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا)**[الأحقاف: ١٧]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : مَا أَنْزَلَ اللهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عُذْرِي[3] .

المبحث الرابع: التعبير عن سبب النزول.

تختلف عبارات الرواة في التعبير عن سبب النزول، فتارة يصرح فيها بلفظ السبب فيقال: (سبب نزول الآية كذا) وهذه العبارة نص في السببية لا تحتمل غيرها.

وتارة لا يصرح بلفظ السبب، ولكن يُؤتى بفاء داخلة على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة (فأنزل)، وهذه العبارة مثل تلك في الدلالة على السببية أيضًا.

---

(١) مناهل العرفان، ١١٣/١، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ١٤٦.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة ص١٤٣

(٣) صحيح البخاري: كتاب التفسير: باب (والذي قال لوالديه أف لكما) ١٣٣/٦،ح٤٨٢٧.

ومرة يسأل الرسول ﷺ، فيُوحي إليه، ويجيب بما نزل عليه ولا يكون تعبير بلفظ سبب النزول، ولا تعبير بتلك الفاء، ولكن السببية تفهم قطعًا من المقام. كرواية ابن مسعود –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ :بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قال:(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: ٨٥][(١)].

وحكم هذه أيضًا حكم ما هو نص في السببية.

ومرة لا يصرح بلفظ السبب ولا يؤتى بتلك الفاء، ولا بذلك الجواب المبني على السؤال، بل يقال (نزلت هذه الآية في كذا مثلاً). وهذه العبارة ليست نصا في السببية، بل تحتملها وتحتمل أمرًا آخر، هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام. والقرائن وحدها هي التي تعين أحد هذين الاحتمالين أو ترجحه.

وعليه: إذا وردت عبارتان في موضوع واحد: إحداهما نص في السببية لنزول آية أو آيات، والثانية ليست نصًا في السببية لنزول تلك الآية أو الآيات، هنالك نأخذ في السببية بما هو نص، ونحمل الأخرى على أنها بيان لمدلول الآية؛ لأن النص أقوى في الدلالة من المحتمل.

أمثلة:

أ– ما رواه جابر قال: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: **(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)** [البقرة: ٢٢٣][(٢)]

ب– عن نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَانٍ قَالَ: تَدْرِي فِيمَ أُنْزِلَتْ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ مَضَى"[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ** ﴾ ٢١٧/٣، ح٤٧٢١، قال أبو شهبة: " هذه الرواية وإن لم تصرح بالسبب إلا أن السببية مفهومة من فحوى القصة؛ لأنه ذَكَرَ الحالة التي يكون عليها النبي ﷺ عند نزول الوحي، ثم ذكر الآية عقب ذلك، كالنص على السببية " ينظر: حاشية المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، ١٤٧ .

(٢) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من دبرها، ٢٩٨/٧، ح٢٥٩٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ}،٣ /١٤٨، ح ٤٥٢٦، قال البدر العيني:" مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: (في كذا وكذا) لأن المراد به في إتيان النساء في أدبارهن" عمدة القاري، للبدر العيني: ١١٦/١٨.

فالمعتمد هنا هو رواية جابر الأولى؛ لأنها صريحة في الدلالة على السببية، وأما رواية ابن عمر فهي وإن كانت صحيحة، إلا أنها ليست صريحة في السببية.

وقد بيّن الزركشي أنه قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع [1].

المبحث الخامس: تعدد الروايات في سبب النزول:

تتغير مواقف المفسر إذا تعددت الروايات في سبب نزول آية واحدة، ومنها:

١. إذا لم تكن الصيغ الواردة صريحة مثل: نزلت هذه الآية في كذا"أو أحسبها نزلت في كذا" فلا منافاة بينهما، إذا المراد تفسير الآية، وبيان أن ذلك داخل في الآية ومستفاد منها، وليس المراد ذكر سبب النزول، إلا إذا قامت قرينة على واحدة بأن المراد بها السببية[٢].

٢. إذا رُوِيت عبارتان في موضوع واحد: إحداهما نص في السببية لنزول آية أو آيات، والثانية ليست نصًا في السببية لنزول تلك الآية أو الآيات، هنالك نأخذ في السببية بما هو نص، ونحمل الأخرى على أنها بيان لمدلول الآية، لأن النص أقوى في الدلالة من المحتمل.

مثال ذلك: ما رُوِي من حديثي جابر وابن عمر رضي الله عنهما في شأن آية البقرة : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ** ﴾ وقد تقدم.

المطلب الأول: تعدد الأسباب والمنزل واحد:

فللعلماء[٣] في مثل هذه الحال مقياس دقيق، يرجحون به إحدى تلك الروايات أو يوفقون بينها توفيقًا سائغًا مقبولاً.

أولا: إن جاءت روايتان صحيحتان، ولا مرجح لإحداهما لكن يمكن الجمع بينهما، بأن كلا من السببين حصل ونزلت الآية عقب حصولهما معًا لتقارب زمنيهما، فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب؛ لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه.

مثال ذلك ما روى عن سهل بن سعد أَنَّ عُوَيْمِرًا أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلانَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسَائِلَ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ :وَاللهِ لا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٣١.

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل، ص١٥٥ .

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٢٩.

أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمُلاعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَلاعَنَهَا.."[1].

وعن عكرمة عن ابن عباس أَنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ وَإِلا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ هِلالٌ :وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:(**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ)** [النور: ٩][2].

فهاتان الروايتان متساويتان في الصحة، إذ أخرجهما الإمام البخاري، وليس لأحدهما مرجح يرجحها على الأخرى، ففي هذه الحالة وأمثالها يجمع بينهما.

قلت: والجمع بينهما أرجح لأمور هي:

١. أنهما روايتان صحيحتان ولا مرجح لأحدهما على الأخرى.

٢. أن الأخذ بإحدى الروايتين وإهمال الأخرى ترجيح بلا مرجح، وهذا لا يجوز.

٣. أن الجمع بين الروايتين؛ مع إمكان الجمع أولى من القول بالترجيح.

وبذلك يتعين الأخذ بالروايتين، إذ لا تفضل إحداهما الأخرى[3].

ثانيًا: إن كانت الروايتان صحيحتين، ويمكننا الترجيح بينهما على أساس أن إحداهما أصح من الأخرى، أو لأن راويها شهد الحادثة دون راوي الأخرى، فلا ريب أن نأخذ بالأصح.

مثال ذلك: عن عبد الله –رضي الله عنه– قال: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ:(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: ٨٥][4].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ﴾، ٩٩/٦، ح٤٧٤٥ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة النور، باب ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ﴾، ١٠٠/٦، ح٤٧٤٧.

(٣) الإتقان، للسيوطي، ٦٥/١، مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح ص ١٤٣–١٤٤.

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ ٢١٧/٣، ح٤٧٢١.

وعن عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فأنزل الله(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: ٨٥][١].

فالرواية الثانية تدل على أنها بمكة، وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه.

أما الأولى فصريحة في أنها نزلت بالمدينة، بسب سؤال اليهود إياه، وهي أرجح من وجهين: الأول: أنها رواية البخاري. وأما الثانية فإنها رواية الترمذي ومن المقرر أن ما رواه البخاري أصح مما رواه غيره. والثاني: أن راوي الخبر الأول وهو ابن مسعود، كان شاهد القصة من أولها إلى آخرها، كما تدل على ذلك الرواية الأولى، بخلاف الخبر الثاني، فإنّ راويه ابن عباس وهو لم يشهد القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل وفي الأداء، وفي الاستيثاق ليست لغير المشاهدة، ومن هنا أعملنا الرواية الأولى وأهملنا الثانية[٢].

ثالثًا: إذا تعددت الروايات وكانت جميعها نصًا في السببية وكان إسناد أحدها أصح من غيره، فحكم الاعتماد على الصحيحة في بيان السبب، ورد الأخرى غير الصحيحة. مثال ذلك:

أ . قال جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لارْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرُبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فأنزل الله:(**وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)** [الضحى: ١ - ٣] [٣]

ب . وعن حَفْصُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَتْنِي أُمِّي، عَنْ أُمِّهَا، وَكَانَتْ خَادِمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ جَرْوًا دَخَلَ الْبَيْتَ وَدَخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ وَمَاتَ فَمَكَثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، أَيَّامًا لا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَالَ: يَا خَوْلَةُ مَا حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ جِبْرِيلُ لا يَأْتِينِي فَهَلْ حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حَدَثٌ فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَى عَلَيْنَا يَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِنَا فَأَخَذَ بُرْدَهُ فَلَبِسَهُ وَخَرَجَ فَقُلْتُ: لَوْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ، وَكَنَسْتُهُ فَأَهْوَيْتُ بِالْمِكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَإِذَا شَيْءٌ ثَقِيلٌ فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى أَخْرَجْتُهُ فَإِذَا بِجِرْوٍ مَيِّتٍ فَأَخَذْتُهُ بِيَدِي فَأَلْقَيْتُهُ خَلْفَ الدَّارِ فَجَاءَ نَبِيُّ اللهِ تَرْعُدُ لَحْيَيْهِ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْوَحْيُ

---

(١) سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل ٢٨٤/٥، ح٣١٤٠، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة القدر، ج٢، ص٥٣١،وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني ١١٨،١١٧/١.

(٣) البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، تفسير سورة الضحى، باب قوله تعالى { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى }، ٣٠٩/٣، ح٤٩٥٠.

أَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ فَقَالَ:" يَا خَوْلَةُ دَثِّرِينِي فَأَنْزَلَ اللهُ **(:وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)** [الضحى: ١ - ٣][١].

قال ابن حجر في شرح البخاري:"قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن جعلها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف، فالمعتمد ما في الصحيحين"[٢].

وشواهد بطلان القصة أكثر من أن تحصى وهي:

" لا يقبل القول بموت جرو تحت سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبقى جثته تحت السرير أيامًا عديدة، بدون أن تخرج رائحتها المنتنة، أو أن ينتبه لها أحد.

كما لا يعقل أن ينقطع الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب جرو، وما علاقة الجرو بالوحي، حتى ينقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم كلية؟ ، وهل كان مجيء الوحي يقتصر على المنزل[٣].

المطلب الثاني: تعدد النزول وتكرره:

إن كانت الروايتان صحيحتين ولم نستطع ترجيح إحداهما ولا الجمع بينهما لتباعد الزمن بين أحداثهما، فقد ذهب العلماء إلى القول بتعدد نزول الآية.

قال الزركشي: وقد ينزل الشيء تعظيمًا لشأنه، وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه[٤].

ومثلوا لذلك بقوله تعالى **:(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)** [التوبة: ١١٣]، فقد ورد في نزولها أكثر من سبب:

١- أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: قَالَ :لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ :أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَاللهِ لاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فَأَنزَلَ الله تعالى: **(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤٩/٢٤، ح٦٣٢، قال الهيثمي :"رواه الطبراني وأم حفص لم أعرفها" مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٧/ص١٣٨، وقال ابن عبد البر:" لا يحتج بإسناد حديثها. أي حديث خولة جدة حفص" أسد الغابة، ابن عبد البر، ج٧/ص١٠٥.

(٢) الإتقان، للسيوطي، ٤٢/١، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح ص ٨٧-٨٨.

(٣) ينظر: اتقان البرهان، فضل عباس، ص٢٩٨ .

(٤) البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٩، ٣٠ .

لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)** [القصص ٥٦][١]

٢ – وأخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ فِي الْمَقَابِرِ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَأَمَرَنَا فَجَلَسْنَا، ثُمَّ تَخَطَّا الْقُبُورَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَبْرٍ مِنْهَا فَنَاجَاهُ طَوِيلاً، ثُمَّ ارْتَفَعَ نَحِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاكِيًا فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَتَلَقَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الَّذِي أَبْكَاكَ فَقَدْ أَبْكَانَا، وَأَفْزَعَنَا، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ:" إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي أُنَاجِي فِيهِ، قَبْرُ أُمِّي آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا، فَأَذِنَ لِي فِيهِ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي فِيهِ، وَنَزَلَ عَلَيَّ **:(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)** [التوبة:١١٣]، حتى ختم الآية **:(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ)** [التوبة: ١١٤]، فأخذني ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي أبكاني[٢].

فالرواية الأولى تذكر أن الآية نزلت في مكة لما حضرت أبا طالب الوفاة، والرواية الثانية تذكر أنها نزلت في المدينة، عندما جلس النبي صلى الله عليه وسلم علي قبر أمه، والسورة مدنية، فقد قال القرطبي:" سورة براءة مدنية باتفاق"[٣] وفي المصحف أنها مدنية إلا الآيتين الأخيرتين.

فقد ذهب العلماء هنا إلى القول بتعدد نزول الآيات؛ لأنه لا يمكن الجمع بينهما لتباعد الزمن، فقد قال السيوطي بعد ذكره للروايات في الآية السابقة:" فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول"[٤].

والقول بتعدد النزول وتكرره هنا مرفوض، إذ لا يقال ذلك إلا عند تساوي الروايات في الصحة، ويتعذر الجمع بينها لتباعد الزمن، أما هنا فرواية البخاري صحيحة ورواية الحاكم ضعيفة.

قال الإمام الذهبي في التلخيص تعليقًا على رواية الحاكم: "أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين[٥]، وقال في سير أعلام النبلاء :"هذا من غرائب الحديث"[٦].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}، ٣ / ٢٤٦، ح٤٧٧٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، زيارة النبي ﷺ قبر أمه آمنة، ٣٣٦/٢ ، وقال أبو عبد الله الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه .

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي: ج٨، ص٦١ .

(٤) الإتقان، للسيوطي، ج١، ص٩٨ .

(٥) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، زيارة النبي ﷺ قبر أمه آمنة، ٣٣٦/٢ .

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥٠٥/١٢ .

وعليه فالراجح رواية الإمام البخاري، وحسبك بها قوة، ولا يعكر عليه كون السورة مدنية، إذ لا يمنع ذلك أن تكون هذه الآية مكية.

وإذ قد تبين لنا ما سبق، فالقول بتعدد النزول وتكرره للآية، فيه نظر لخلوه من دليل يؤيده.

المطلب الثالث: تعدد النازل والسبب واحد:

قد يكون أمر واحد سببًا لنزول آيتين أو آيات متعددة، ولا مانع في ذلك، إذ قد يكون سببًا في زيادة إقناع الناس وهدايتهم، وتوضيح الحق لهم، وهو أبلغ في الإقناع، وأظهر في البيان.

مثال ذلك: أخرج الترمذي عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لا أَسْمَعُ اللهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ بِشَيْءٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ **(:فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)** [آل عمران: ١٩٥][(١)].

وأخرج الترمذي أيضاً عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلا تَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: **(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)** [النساء: ٣٢]، قال مجاهد: فأنزل فيها: (**إن المسلمين والمسلمات**) [الأحزاب: ٣٥]، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَوَّلَ ظَعِينَةٍ قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً. قال أبو عيسى: هذا حديث مرسل ورواه بعضهم عن بن أبي نجيح عن مجاهد مرسل أن أم سلمة قالت كذا وكذا[(٢)].

وأخرج الحاكم عنها أيضاً أنها قالت : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: يُذْكَرُ الرِّجَالُ، وَلا يُذْكَرُ النِّسَاءُ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (**إن المسلمين والمسلمات**) [الأحزاب: ٣٥]. الآيَةَ. وَأَنْزَلَ :**(أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)** [آل عمران: ١٩٥][(٣)].

فالآيات الثلاث السابقة نزلت على سبب واحد، وهو سؤال أم سلمة رسول الله ﷺ ولا يُبعِد هذا اختلاف صيغة السؤال، لجواز أن يكون سؤالها عاماً شاملاً لكل ما روي، ولكن بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال دون بعض، أو تذكر بعضه ونسي بعضًا.

---

(١) سنن الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، ٢٢١/٥، ح٣٠٢٣، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، ٣٠٠/٢، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) سنن الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، ١١٨/٥، ح٣٣٠٨، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة النساء،٢ /٣٠٥، ووصححه وأقره الذهبي .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ج٢، ص٤١٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي .

المبحث السادس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

ومعناه أن يأتي الجواب أعم من السبب، ويكون السبب أخص من لفظ الجواب. وذلك جائز عقلاً، وواقع فعلاً؛ لأنه لا محظور فيه ولا قصور، بل إن عمومه مع خصوص سببه موفٍ للغاية، ومؤدٍ للمقصود وزيادة.

بيد أن العلماء اختلفوا في حكمه: أعموم اللفظ هو المعتبر أم خصوص السبب؟

ذهب الجمهور[2] إلى أن الحكم يتناول كل أفراد اللفظ، سواء منها أفراد السبب، أو غير أفراد السبب، ولنضرب لك مثلاً حادثة قذف هلال بن أمية لزوجته، وقد نزل فيها قول الله تعالى: **(والذين يرمون أزواجهم)** [النور: ٦] إلخ، نلاحظ فيها أن السبب خاص، وهو قذف هلال هذا، ولكن جاءت الآية النازلة فيه بلفظ عام –كما ترى– وهو لفظ **(الذين يرمون أزواجهم)** وهو اسم موصول، والموصول من صيغ العموم.

وقال غير الجمهور[3]: إن العبرة بخصوص السبب. ومعنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصورًا على الحادثة التي نزل هو لأجلها، أما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية، إنما يعلم بدليل مستأنف آخر، وهو القياس الذي استوفى شروطه، فآية القذف السابقة النازلة بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها،"على هذا الرأي". أما حكم غيرها مما يشبهها، فإنما يعرف قياسًا عليها.

ويجب أن نلحظ، أن الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم، محله إذا لم تقم قرينة على تخصيص لفظ الآية العام بسبب نزوله، أما إذا قامت تلك القرينة؛ فإنّ الحكم يكون مقصورًا على سببه لا محالة، بإجماع العلماء.

كما يجب أن نلحظ أيضًا أن حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء وهؤلاء إلى أفراد غير السبب. بيد أن الجمهور يقولون إنه يتناولهم بهذا النص نفسه، وغير الجمهور يقولون أنه لا يتناولهم إلا قياسًا أو بنص آخر.

وإلى هذا المعنى يشير ابن تيمية بقوله: "قد يجيء كثيرًا من هذا الباب قولهم: هذه الآية نزلت في كذا، لا سيما إن كان المذكور شخصًا، كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة قيس بن ثابت، وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ١/١٢٣، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة،١٥٥ .

(٢) هو قول أحمد وأصحابه والحنفية ونص عليه الشافعي، واختاره الإمام فخر الدين والآمدي وأتباعهما. القواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الأحكام الفرعية، لابن اللحام، ص٣١٨.

(٣) وهو قول أبي ثور، والمزني، والقفال، وغيرهم. نهاية السول، الأسنوي ٢/ ٤٧٧، إرشاد الفحول، الشوكاني ص١٣٤.

بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإنّ هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق. والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب: هل يختص بسببه؟ لم يقل أحد أن عمومات الكتاب والسنة بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرًا أو نهيًا، فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كانت بمنزلته[1].

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص١٦.

المبحث السادس: الاستفادة من هذه المباحث في المنهج التعليمي والتربوي:

لا بد أن نقرر حقيقة أكيدة، وهي أن كل عناصر العلم الإنساني صالحة للتطبيق والاستفادة منها في حياتنا العملية والعلمية والتربوية.

فمن ناحية لغة العلم الإسلامي، وهي العربية، فهي لغة حضارية وهي لغة العلوم حيث إنها تضم أكثر من اثنى عشر مليون كلمة، أما جذورها فتبلغ ٩٢٧٣ جذرًا وهو يفوق الجذور الموجودة في مجموعة اللغات الهندية والأوروبية والتي لا تتجاوز ٥٠٠ جذر فقط، ومعنى كثرة جذور العربية، إمكانية استخلاص آلاف المصطلحات والكلمات من هذه الجذور.

كما أن الإسناد الذي يتميز به العلم الإسلامي ما هو إلا شكل من أشكال توثيق المعلومات، ولا يوجد نظير له في غير العلوم الإسلامية.

أما بخصوص مواد"علوم القرآن" فالوحي يمثل مركزية المعلومات، وهذه المركزية تعطي نوعًا من الثقة والطمأنينة لدى المتلقي، فلذا يمكن الاستفادة من هذه الناحية في عملية إعداد المقررات الدراسية التي تلقى على الطلاب؛ حيث تقوم لجنة ثابتة منتقاة في كل العلوم بإعداد المناهج بطريقة تبعث على الثقة والطمأنينة وتعود بالنفع الكامل على جموع الطلاب والطالبات.

أما"المكي والمدني" فيمكن الاستفادة من بحوثه من خلال التقسيم في معرفة عوامل القوة والضعف في المجتمعات الإسلامية، والمدرسة تمثل نواة هذا المجتمع.

إن المجتمع القوي، ينبغي بالضرورة أن يتوافر فيه أساس فكري قوي، لكي يكّون بناء حضارته مستندًا إلى الإرادة الإنسانية وكرامة الإنسان ومسئوليته.

ولقد تمكّن الإسلام، رغم انحراف السياسة في وقت مبكر أن ينشئ قاعدة متينة؛ فالمجتمع المدني يقوم على خدمة معظم مصالحه، كخدمات التعليم وإقامة الشعائر الدينية والخدمات الاجتماعية والثقافية.

إن دراسة فكر هذه الأمة منذ تأسيسها على يد رسول الله ﷺ ومصادره وتطوره ورصد مواطن القوة والضعف يؤدي كل ذلك إلى التوازن الثقافي مع العالم المعاصر.

أما سنة التدرج، التي هي خاصية من خصائص التشريع الإسلامي، فيمكن الاستفادة منها في مجال التربية والتعليم؛ بحيث يقوم المعلم بالتدرج في إلقاء المعلومات حتى يستوعبها الطلاب، وهذا التدرج ينظم عقل الطلاب والطالبات، بحيث تكثر الفائدة المرجوة من ذلك، وقد بينا التدرج عند الحديث عن حكم نزول القرآن الكريم منجمًا، كما أنه يمكن الاستفادة من العموم والخصوص في إقامة علاقة متينة بين المعلمين وطلابهم؛ حيث يسود مبدأ الثواب والعقاب على العدل، ويسود بين المسلمين (الطلاب والطالبات) المودة والأخوة، ويستشعر كل فرد من أفراد المسلمين حاجة أخيه إليه.

هذا بالإضافة إلى أن معرفة **أسباب النزول** وتقريبها للطلاب يجعلهم في حالة من الروحانية التي يتمثلون فيها عصر النبي ﷺ (عصر التنزيل) وما حدث فيه، فيتواصل الطلاب مع هذا العصر تواصلاً يؤدي بهم إلى أن يكونوا صالحين، يمثلون مجتمعًا إسلاميًا صالحًا.

أسئلة للمناقشة

١) عرّف سبب النزول، ثم اشرح التعريف.
٢) ينحصر سبب النزول في أمرين، وضح ذلك.
٣) بيّن الأسس التي يعتمد عليها العلماء في معرفة سبب النزول.
٤) ما حكم أقوال الصحابة في أسباب النزول.
٥) هل لكل آية سبب نزول؟ وضح ذلك.
٦) لمعرفة أسباب النزول فوائد، اذكر ثلاثة منها مع الدليل.
٧) هل تختلف عبارات الرواة في التعبير عن سبب النزول. وضح ذلك بالتفصيل.
٨) اذكر فوائد معرفة صيغ أسباب النزول.
٩) اذكر مثلاً لسبب نزلت فيه أكثر من آية.
١٠) بيّن المراد بقول العلماء "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" مع ذكر مثال.
١١) ما أسس الترجيح بين الروايات الواردة في أسباب النزول؟
١٢) متى يجمع بين الروايات الواردة في أسباب النزول؟
١٣) قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية" اشرح قول ابن تيمية معززًا إجابتك بالأدلة.

الفصل السادس: المُحْكم والمُتشابِه

المبحث الأول: تعريف المُحْكَم والمُتَشابِه لغة واصطلاحًا.

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمُحْكَم والمُتشابِه:

لهذين اللفظين إطلاقات في اللغة، وإطلاقات في الاصطلاح؛ فاللغويون يستعملون مادة الإحكام في معان متعددة، لكنها مع تعددها ترجع إلى شيء واحد، هو المنع. فيقولون: أحكم الأمر، أي: أتقنه ومنعه عن الفساد.

وكذلك يستعملون مادة التشابه فيما يدل على المشاركة في المماثلة والمشاكلة، المؤدية إلى الإلتباس غالبًا. يقال: تشابها واشتبها؛ أي: أشبه كل منها الآخر حتى التبسا ويقال: أمور مشتبهة ومشبهة أي: مشكلة[١].

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي:

يطلق المُحْكَم في لسان الشرعيين على ما يقابل المنسوخ تارة، وعلى ما يقابل المُتَشابِه تارة أخرى.

فيراد به على الاصطلاح الأول: الحكم الشرعي الذي لم يتطرق إليه نسخ[٢].

ويراد به على الثاني: "ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره[٣].

المطلب الثالث: آراء العلماء في معنى المُحْكَم والمُتشَابِه:

يختلف العلماء في تحديد معنى المُحْكَم والمُتشَابِه اختلافات كثيرة منها:

الأول: أن **المُحْكَم:** ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل. **أما المُتشَابِه:** فهو ما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور[٤].

الثاني: المُحْكَم: ما لا يحتمل إلا وجها واحدًا من التأويل. **أما المُتشَابِه:** فهو ما احتمل أوجها متعددة[٥].

---

(١) راجع: القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٠٠/٤، والمصباح المنير، للفيومي ٢٢٦/١، وشرح الكوكب المنير لابن النجار، ١٤١/٢.

(٢) مناهل العرفان، للزرقاني، ٢٧٢/٢، وينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، ٣٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٤٠١/١.

(٤) ينظر: الإتقان، للسيوطي، ٢/٢، المدخل إلى مذهب أحمد، لابن بدران، ص٨٩، شرح الكوكب، لابن النجار ١٤٢/٢.

(٥) ينظر: الإتقان، للسيوطي، ٢/٢، إرشاد الفحول، الشوكاني ص ٣٢.

الثالث: أن المُحْكَم: هو ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. **أما المُتشَابِه:** فهو ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره[١].

الرابع: أن المُحْكَم: ما كانت دلالته راجحة، وهو النص والظاهر. **أما المُتشَابِه:** فما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول والمشكل[٢].

الخامس: وقيل: المُحْكَم: الفرائض والوعد والوعيد. **والمُتشَابِه:** القصص والأمثال[٣].

وعن عكرمة وقتادة: أن **المُحْكَم** الذي يعمل به. **والمُتشَابِه:** الذي يؤمن به ولا يعمل به[٤].

ونحن إذا نظرنا في هذه الآراء، لا نجد بينها تناقضًا ولا تعارضًا، بل نلحظ بينها تشابهًا وتقاربًا؛ لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه، وإلى عدم وضوحه، وليس في القرآن ما لا معنى له.

ويمثل العلماء للمُحْكَم في القرآن: بناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، ووعده، ووعيده.

وللمتشابه: بمنسوخه، وكيفيات أسماء الله، وصفاته التي في قوله: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه: ٥]، وقوله: **(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)** [القصص: ٨٨]، وقوله: **(يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)** [الفتح: ١٠]، وقوله: **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)**[الأنعام: ١٨]، وقوله: **(وَجَاءَ رَبُّكَ)**[الفجر: ٢٢]، وقوله: **(وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ)** [الفتح: ٦]، وقوله: **(فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)** [آل عمران: ٣١]، إلى غير ذلك، وأوائل السور المفتتحة بحروف المعجم[٥]، وفي قوله تعالى **(طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)** [الصافات: ٦٥].

وأجاب الجمهور بأن الحروف المقطعة، إما أسماء السور، أو أسماء الله تبارك وتعالى، أو سر الله تعالى في كتابه مما استأثر بعلمه، أو غيرها مما هو مذكور في التفاسير...[١]

---

(١) ينظر: النكت والعيون، ٣٦٩/١، وزاد المسير، ٣٥٠/١.

(٢) ينظر: التفسير الكبير، ١٤٦/٧، مناهل العرفان، للزرقاني، ٢/ ٢٧٤ .

(٣) وقد استبعد الآمدي هذا القول. ينظر: الإحكام، الآمدي١٦٦/١، إرشاد الفحول، الشوكاني ص٣٢، الإتقان، للسيوطي، ٢/٢.

(٤) وهناك تعريفات أخرى للمحكم والمتشابه، وقد رد الغزالي أكثرها. ينظر: المستصفى، للغزالي ١٠٦/١، الإتقان، للسيوطي، ٢/٢، شرح النووي ٢١٧/١٦، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، زاد المسير، لابن الجوزي، ٣٥٠/١، وعلى الإجمال فالخلاف في الاصطلاح أو ما يشبه الاصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٥) مناهل العرفان، للزرقاني، ٢٧١/٢.

(١) ينظر: الإحكام للآمدى، ١٦٧/١، تفسير الطبري، ٨٦/١، تفسير القرطبي، ١٥٤/١، زاد المسير، لابن الجوزي٢٠/١، فواتح الرحموت، للسهالوي ١٧/٢.

وبأن رؤوس الشياطين مثل في الاستقباح على عادة العرب في ضرب الأمثال بما يتخيلونه قبيحًا. قال ابن قاضي الجبل: ورؤوس الشياطين: استقر قبحها في الأنفس فشبه بها كقول امرئ القيس.

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[1]

فشبهها بأنياب الأغوال لقبحها المستقر، وإن لم يكن لها حقيقة. كذلك ذكره المازري المالكي[2].

قال السيوطي: ومن المتشابه أوائل السور، **والمختار** فيها أيضًا أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى. أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال: إن لكل كتاب سرًا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور... [3].

المطلب الرابع: القرآن الكريم محكم ومتشابه:

جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم قال تعالى:(**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ)** [هود: ١].

وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه، إذ قال تعالى:(**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا)** [الزمر: ٢٣].

وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم، وبعضه متشابه، إذ قال عز اسمه: **(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)** [آل عمران: ٧].

ولا تعارض بين هذه الإطلاقات الثلاثة:

لأن معنى إحكامه: كونه كلامًا حقًا، فصيح الألفاظ، صحيح المعاني، لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ومعنى كونه متشابهًا: أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضًا[4].

وأما أن بعضه محكم وبعضه متشابه: فمعناه أن من هذا القرآن ما اتضحت دلالته على مراد الله تعالى منه، ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم. فالأول هو المحكم، والثاني هو المتشابه على خلاف بين العلماء، بيد أن الذي اتفقوا عليه ولا يمكن أن يختلفوا فيه هو أنه لا تنافي بين كون القرآن كله محكمًا؛ أي متقنًا وبين كونه كله متشابهًا، أي يشبه بعضه بعضًا في

---

(١) البيت من البحر الطويل. ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز ص ٨٠، ديوان امرئ القيس ص٣٣، معجم شواهد العربية، لإميل بديع ٣١٠/١.

(٢) ينظر: شرح الكوكب، لابن النجار ١٤٥/٢.

(٣) الإتقان، للسيوطي، ١٢،١١/٢.

(٤) التفسير الكبير، للرازي، ١٤٥/٧ .

هذا الإتقان والإحكام وبين كونه منقسمًا إلى ما اتضحت دلالته على مراد الله وما خفيت دلالته. بل إن انقسامه هذا الانقسام محقق لما فيه كله من إحكام وتشابه بالمعنى السابق[1].

المبحث الثاني: هل المتشابه مما يمكن معرفته؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: إنه يمكن الاطلاع على علم المتشابه للراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله، واختار هذا القول الإمام النووي، ومعظم المتكلمين، فقال في (شرح مسلم): إنه الأصح، لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق معرفته.

ويبدو أنه لا بد من بقاء بعض المتشابه الذي لا يمكن للناس الاطلاع على علمه، والذي يبقى تأويله مختصًا بالله تعالى[2].

الثاني: أنه لا يمكن لأحد الاطلاع على علمه، ولا يعلمه إلا الله، وأما الراسخون في العلم فإنهم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا.

قال البغوي في تفسيره: هو قول الأكثرين منهم أبي بن كعب وعروة بن الزبير ورواية عن ابن عباس وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والأخفش[3].

ويقف القارئ على الأصح على(إِلَّا اللَّهُ) لفظًا ومعنى لا على (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)[4] وقال بذلك السيوطي.

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني، ٢/ ٢٧١

(٢) شرح النووي على مسلم ٢١٨/١٦، الإتقان، للسيوطي، ٣/٢، الدر المنثور، للسيوطي ٨/٢، المستصفى، للغزالي ١٠٦/١، مختصر ابن الحاجب، ٢١/٢، شرح الكوكب، لابن النجار، ١٥٣،١٥٢/٢.

(٣) تفسير البغوي، ١/ ٤١٢ .

(٤) ينظر: الإحكام لابن حزم، ٤٩٢/١، إرشاد الفحول، الشوكاني، ص٣٢، تفسير القاسمي، ٧٩٥/٤، تفسير البغوي ٣٢١/١، تفسير الخازن، ٣٢١/١، الإتقان، للسيوطي، ٤/٢، فواتح الرحموت، للسهالوي ١٨/٢.
وتمام الآية ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾ آل عمران/٧.

المبحث الثالث: أنواع المتشابهات.

المطلب الأول: أنواع المتشابهات:

أفاض العلماء في ذكر أنواع المتشابهات، دون المحكم؛ لأن الموضوع شائك بالنسبة إلى المتشابه، فذكروا أن المتشابه ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعًا أن يصلوا إليه، كالعلم بذات الله صفاته، وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها:(**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)**) [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)**) [لقمان: ٣٤].

النوع الثاني: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس، كالمتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب ونحوها.

النوع الثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم، ولذلك أمثلة كثيرة من المعاني العالية التي تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله.

قال الراغب: المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج الدابة، ونحو ذلك، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة وضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم. وهو المشار بقوله ﷺ لابن عباس:"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[(١)].

المطلب الثاني: آيات الصفات:

من المتشابه آيات الصفات نحو قوله تعالى :(**الرحمن على العرش استوى**)طه: ٥] وقوله :(**كل شئ هالك إلا وجهه**) [القصص:٨٨] وقوله:(**يد الله فوق أيديهم**) [الفتح:١٠]، وقوله: (**وجاء ربك والملك صفا صفا**)[الفجر: ٢٢]، وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها.

روى اللالكائي عن أم سلمة في قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥] قَالَتْ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ"[(١)] .

---

(١) نقل السيوطي هذا التقسيم عن الراغب الأصفهاني في "المفردات". ينظر الإتقان، للسيوطي، ٧/٢، المفردات ص ٢٥٥، مناهل العرفان، للزرقاني، ٢٨٢/٢.

(١) شرح أصول الاعتقاد لهبة الله اللالكائي، ٤٤٠/٣، وأشار إلى هذه الرواية ابن حجر في الفتح، ٤٠٦/١٣، وابن تيمية في الفتاوى، ٣٦٥/٥ .

وروي عن مالك نحو ذلك[1].

وعن أبي سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾؟[طه: ٥]؟ فَقَالَ: هُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ[2].

المطلب الثالث: أقوال العلماء في آيات الصفات[3]

المذهب الأول: وهو مذهب السلف، ويسمى مذهب المفوضة، وهو تفويض معاني المتشابهات إلى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة. قال ابن الصلاح:"على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها، وإياها اختار الأئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه. ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها.

المذهب الثاني: مذهب الخلف، ويسمى مذهب المؤولة، وهم فريقان:

١. التأويل بصفات سمعية غير معلومة على التعيين، ثابتة له تعالى، زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين وينسب إلى أبي الحسن الأشعري.
٢. التأويل بصفات أو بمعان نعلمها على التعيين، ويليق بالله عقلاً وشرعًا، وينسب إلى ابن برهان وجماعة من المتأخرين، ورجع عنه إمام الحرمين بعد أن قال به فترة.

المذهب الثالث: مذهب المتوسطين، وينسب إلى ابن دقيق العيد.

قال السيوطي: "وتوسط ابن دقيق العيد فقال: " إذا كان التأويل قريبًا من لسان العرب لم ينكر، أو بعيدًا، توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه. وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرًا مفهومًا من تخاطب العرب، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى:

(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) [الزمر: ٥٦] فنحمله على حق الله وما يجب له[1].

والأولى من هذه المذاهب، اتباع مذهب السلف وصدر الأمة وساداتها والأئمة الفقهاء وأئمة الحديث وأعلامه.

---

(١) شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي،٣/٤٤١، وينظر:الأسماء والصفات للبيهقي، ص٤٠٨،الفتح لابن حجر، ٤٠٦/١٣.

(٢) شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، ٤٤٢/٣.

(٣) الإتقان، للسيوطي، ٨/٢، مناهل العرفان، للزرقاني،٢/ ٢٨٩، دراسات في علوم القرآن محمد بكر إسماعيل ص ١٩٧، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، النبهان ص١٨٤، دراسات في علوم القرآن- فهد الرومي ص: ٤٠٥، الواضح في علوم القرآن، لمصطفى الديب، ص١٣١ .

(١) الإتقان، للسيوطي، ١٦/٣ .

المبحث الرابع: الحكمة من المتشابه

ما الحكمة في إنزال المتشابه ووجوده؟

الجواب: أن حكم المتشابه يختلف بالنسبة إلى ما يمكن علمه، وإلى ما لا يمكن علمه.

المطلب الأول: حكم المتشابه الذي لا يمكن علمه (ما استأثر الله بعلمه).

أولاً: رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف، الذي لا يطيق معرفة كل شيء. وإذا كان الجبل حين تجلّى له ربه جعله دكا، وخر موسى صعقًا، فكيف لو تجلىّ سبحانه بذاته وحقائق صفاته للإنسان؟ ومن هذا القبيل أخفى الله على الناس معرفة الساعة رحمة بهم، حتى لا يقعد بهم التكاسل عن الاستعداد لها، وكي لا يفتك بهم الخوف والهلع لو أدركوا شدة قربها منهم. ولمثل هذا حجب الله عن العباد معرفة آجالهم، ليعيشوا في بحبوحة من أعمارهم. فسبحانه من إله حكيم، رحمن رحيم.

ثانيًا: الابتلاء والاختيار: ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ، وإن لم يجز العمل بما فيه.

ثالثًا: إقامة الدليل على عجز الإنسان وجهالته، مهما عظم استعداده وغزر علمه، وإقامة شاهد على قدرة الله الخارقة، وأنه وحده هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأن الخلق جميعًا لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

رابعًا: إقامة الحجة على العرب البلغاء، لأن القرآن نزل بلسانهم ولغتهم، ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معناه، فدل ذلك على أنه تنزيل من حكيم حميد.

خامسًا: لو كان القرآن كله محكمًا لما كان مطابقًا إلا لمذهب واحد، وبالتالي بطلان بقية المذاهب المخالفة، وذلك منفر لأرباب المذاهب الأخرى عن النظر فيه، فوجود المتشابه والمحكم فيه مطمع لكل ذي مذهب؛ أن يجد فيه كل ما يؤيد مذهبه[1].

المطلب الثاني: حكم المتشابه الذي يمكن علمه:

أولاً: حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه.

ثانيًا: ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات، إذ لو كان القرآن كله محكمًا لا يحتاج إلى تأويل ونظر؛ لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العالم على غيره.

ثالثًا: الحصول على الثواب الأكبر؛ لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيدًا من الثواب.

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ٣٥/٣، مناهل العرفان، للزرقاني، ٢٨٢/٢.

رابعًا: تحصيل العلوم الكثيرة؛ لأن معرفة المتشابه توجب التعمق في معرفة النحو والمعاني وغيرهما، والوقوف على أساليب العرب والعلوم الاخرى.

خامسًا: تيسير حفظ القرآن والمحافظة عليه؛ لأن كل ما احتواه من تلك الوجوه المستلزمة للخفاء دال على معان كثيرة، زائدة على ما يستفاد من أهل الكلام.

أسئلة للمناقشة:

١) عرّف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحًا.
٢) اذكر آراء العلماء في معنى المحكم والمتشابه.
٣) جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم، وما يدل على أنه كله متشابه، وما يدل على أن بعضه محكم، وبعضه متشابه، اذكر الآيات التي تدل على ذلك ووفق بينها.
٤) هل المتشابه يمكن معرفته؟
٥) بيّن أنواع المتشابهات.
٦) بيّن أقوال العلماء في آيات الصفات.
٧) ما الحكم من المتشابه الذي لا يمكن علمه؟
٨) وما الحكم من المتشابه الذي يمكن علمه؟

الفصل السابع: الناسخ والمنسوخ

المبحث الأول: تعريف، وحكمه، وشروطه:

المطلب الأول تعريف النسخ لغة واصطلاحًا:

النسخ لغة: يطلق بمعنى **الرفع والإزالة**، ومنه يقال: نسخت الشمس الظل؛ أي أزالته. ونسخت الريح التراب والآثار، ويطلق **بمعنى نقل** الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه، ومنه قوله تعالى: **(إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** [1][الجاثية:٢٩]، يعنى: نكتبه وننسخه.

والنسخ في الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ.

دلالة التعريف: قال البعض:"بخطاب شرعي" والدليل الشرعي أحسن؛ لأن الفعل داخل في الدليل دون الخطاب.

وقوله: متراخ: احتراز من التخصيص؛ لأن التخصيص يأتي متراخيًا ومتصلاً أو مقارنًا.

وزوال الحكم بالموت والجنون ليس بنسخ، والحكم: ما تعلق بالمكلف بعد وجوده أهلا [2].

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: **(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا)** [البقرة: ١٠٦]، وعلى الآية، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر.

والمنسوخ هو الحكم المرتفع بناسخ، فآية المواريث مثلاً أو ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين.

ولا يكون الناسخ أضعف من المنسوخ عند الأكثر [3].

ولا نسخ مع إمكان الجمع بين الدليلين؛ لأنا إنما نحكم بأن الأول منهما منسوخ إذا تعذر علينا الجمع، فإذا لم يتعذر وجمعنا بينهما بكلام مقبول أو بمعنى مقبول، فلا نسخ[4].

---

(١) ينظر مادة(نسخ) في لسان العرب، لابن منظور، ٦١/٣، الصحاح، للجوهري، ٤٣٣/١، تاج العروس، للزبيدي، ٣٥٥/٧ .

(٢) في تعريف النسخ ومحترزات التعريف ينظر: العدة، لأبي يعلى، ٧٧٨/٣، نهاية السول، الأسنوي ١٦٢/٢، إرشاد الفحول، الشوكاني ص١٨٤، أصول السرخسي ٥٤/٢، المستصفى، للغزالي ١٠٧/١، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري ١٥٥/٣، شرح الكوكب، لابن النجار ٥٢٦/٣.

(٣) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ص ١٨٧، المستصفى، للغزالي ١٢٤/١، نهاية السول، الأسنوي ١٧٩/٢، العدة، لأبي يعلى، ٧٨٨/٢.

(٤) ينظر: العدة لأبي يعلى ٨٣٥/٣، المسودة، لابن تيمية ص ٢٢٩ وما بعدها.

المطلب الثاني: حكم النسخ قبل وقت الفعل:

يجوز النسخ قبل وقت الفعل، أي قبل دخول وقت الفعل عند الحنابلة وأكثر الشافعية والأشعرية، وقد ذكر الآمدى أن هذا قول أكثر الفقهاء. ومنعه أكثر الأحناف والمعتزلة(١).

والدليل على الجواز: ما روى عن أبي هريرة أنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وَفُلانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وَفُلانًا وَإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إِلا اللهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا(٢).

المطلب الثالث: شروط النسخ:

١. أن يكون الحكم المنسوخ حكمًا شرعيًا؛ أي قد ثبت بالشرع.
٢. أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعيًا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه.
٣. ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيد بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخًا.
٤. لا يجوز النسخ بالإجماع أو القياس؛ لأن الإجماع حجة انعقدت بعد انقطاع الوحي. أما القياس ؛ فلأنه يستنبط من أصل، فلا يصح نسخه مع بقاء الأصل المستنبط منه.
٥. قال"مكي" (ت٣٧هـ) في كتابه (الناسخ والمنسوخ):"ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعرًا بالتوقيت والغاية مثل قوله في سورة البقرة: **(فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)** [البقرة: ١٠٩] محكم غير منسوخ؛ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه.

المبحث الثاني: ما يقع فيه النسخ

مما سبق، يتبين لنا أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي، سواء أكانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي، على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو الآداب الخلقية، أو أصول العبادات والمعاملات؛ لأن الشرائع كلها لا تخلو من هذه الأصول، وهي متفقة فيها، قال تعالى: **(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)** [الشورى: ١٣] وقال:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**) [البقرة: ١٨٣]

وقال: **(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا)** [الحج: ٢٧]

---

(١) ينظر الأحكام للآمدي ١٢٦/٣، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري ١٦٩/٣، نهاية السول، الأسنوي ١٧٣/٢، المستصفى، للغزالي ١١٣،١١٢/١.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، ٤/ ٦١، ح٣٠١٦.

وقال في القصاص: **(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)** [المائدة: ٤٥].

وقال في الجهاد: **(وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ)** [آل عمران: ١٤٦]، وفي الأخلاق: **(وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا)** [لقمان: ١٨].

كما لا يدخل النسخ الخبر الصريح الذي ليس بمعنى الطلب كالوعد والوعيد.

أما العقائد: فلأنها حقائق ثابتة صحيحة لا تقبل التغيير والتبديل، فبدهي ألا يتعلق بها نسخ.

وأما أمهات الأخلاق: فلأن حكمة الله في شرعها، ومصلحة الناس في التخلق بها أمر ظاهر لا يتأثر بمرور الزمن، ولا يختلف باختلاف الأشخاص والأمم حتى يتناولها النسخ بالتبديل والتغيير.

وأما أصول العبادات والمعاملات: فلوضوح حاجة الخلق إليها باستمرار، لتزكية النفوس، وتطهيرها، ولتنظيم علاقة المخلوق بالخالق والخلق على أساسهما، فلا يظهر وجه من وجوه الحكمة في رفعها بالنسخ(١).

المبحث الثالث:أهمية النسخ، وحكمته، وطرق معرفته.

المطلب الأول: أهمية معرفة النسخ:

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد روى أن عليًا ﷺ مر بِقَاصٍّ، فَقَالَ:أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لا قَالَ:"هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ"(٢).

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: **(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)** [البقرة: ٢٦٩] قال: الْمَعْرِفَةُ بِالْقُرْآنِ، نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَمُقَدَّمِهِ وَمُؤَخَّرِهِ وَحَلالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْثَالِهِ"(٣).

المطلب الثاني: حِكَم النسخ(٤):

١ . ترقية الأمة وتدرجها إلى مرتبة الكمال، فالله تعالى تعهد هذه الأمة بما يرقيها ويمحصها، وقد جاءت الشريعة متلطفة في دعوة الناس، متدرجة بهم إلى الكمال، صاعدةً بهم في مدارج

---

(١) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني، ٢١٢/٢، إرشاد الفحول للشوكاني ص١٨٨، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص٢٤٧ .

(٢) مصنف عبد الرزاق، كتاب الجمعة، باب ذكر القصاص،٢٢٠/٣،ح٥٤٠٧، وينظر: الإتقان، للسيوطي، ٢٧/٢.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره، ٥٧٦/٥ . وينظر الإتقان، للسيوطي، ٣/٢.

(٤) مناهل العرفان، للزرقاني، ١٩٦/٢.

الرقي شيئًا فشيئًا، ومن الصعب إلى الأصعب. وهذه الحكمة تتجلى فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ.

٢ . أما إذا كان الحكم الناسخ هو الأسهل، فالتخفيف على الناس، معناه إظهار رحمة الله تعالى عليهم وبيان فضله، وفي ذلك إغراء لهم على المبالغة في شكر الله وحمده ومحبة دينه.

٣ . أما التساوي بين الناسخ والمنسوخ فحكمته الابتلاء والاختبار ليميز الله الخبيث من الطيب.

٤ . أما حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم، حتى يشهدوا أنّ هذا الدين هو الدين الحق، وأن الرسول هو نبي الصدق، يضاف إلى ذلك ما يكتسبونه من الثواب على هذه التلاوة، والوقوف على ما حوته تلك الآيات المنسوخة من بلاغة.

المطلب الثالث: طرق معرفة النسخ:

١. أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما.

٢. إجماع الأمة على تعيين المتقدم والمتأخر منهما.

٣. وروده عن أحد من الصحابة بطريق صحيحة كأن ينص الصحابي على نزول هذه الآية بعد ذلك.

المبحث الرابع: آراء العلماء في حقيقة النسخ وأدلته.

والناس في النسخ على أربعة أقسام:

١ . اليهود: ينكرونه ويزعمون أن النسخ يستلزم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون ذلك: أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على الله، وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن من قبل، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل، وهو محال على الله تعالى [١].

واستدلالهم هذا فاسد؛ لأن كلاً من حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ معلوم لله تعالى من قبل، فلم يتجدد علمه بها. وهو سبحانه ينقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة معلومة له من قبل بمقتضى حكمته وتصرفه المطلق في ملكه.

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها. وجاء في نصوص التوراة النسخ، كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله، قال تعالى في إخباره عنهم: **(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ)** [آل عمران:٩٣] وقال: **(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ)** [الأنعام: ١٤٦]، وثبت في التوراة أن آدم كان يزوج من الأخت. وقد حرم الله ذلك على موسى، وأن موسى أمر بني اسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم [٢].

٢ . الروافض: غالى هؤلاء في إثبات النسخ وتوسعوا فيه، وأجازوا البداء على الله تعالى، فهم مع اليهود على طرفي نقيض، واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي ﷺ زورًا وبهتانًا، وبقوله تعالى: **(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ)** [الرعد: ٣٩] على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات.

وذلك إغراق في الضلال، وتحريف للقرآن؛ فإن معنى الآية: ينسخ الله ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، والمحو والإثبات موجود في كثير من الحالات، كمحو السيئات بالحسنات **(إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)** [هود:١١٤] ومحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة وإثبات إيمانهم وطاعتهم[٣]. ولا يلزم من ذلك الظهور بعد الخفاء، بل يفعل الله هذا مع علمه به قبل كونه.

ولا يجوز البداء على الله عز وجل، وهذا عند كافة المسلمين، بخلاف النسخ فهو جائز وواقع، والفرق بينهما واضح بين، قال الشيرازي: إن البداء أن يظهر له ما كان خفيًا، ونحن لا نقول فيما ينسخ أنه ظهر له ما كان خافيًا عليه، بل نقول: إنه أمر به وهو عالم أنه يرفعه في

---

(١) شرح الكوكب، لابن النجار ٥٣٦/٣.

(٢) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ص ١٨٥، النسخ في القرآن، د مصطفى زيد ٢٧/١، الملل والنحل للشهرستاني ٢١٥/١، الفصل في الملل، لابن حزم ٩٩/١،، فواتح الرحموت، للسهالوي ٥٥/٢.

(٣) الكشاف، للزمخشري،٢/ ٥٣٤ .

وقت النسخ، وإن لم يطلعنا عليه فلا يكون ذلك بداء. والقول بتجدد العلم – أي علم الله عز وجل– كفر بإجماع أئمة أهل السنة[١].

٣ . أبو مسلم الأصفهاني[٢]: وهو يجوّز النسخ عقلاً ويمنع وقوعه شرعًا، وقيل: يمنعه في القرآن خاصة محتجًا بقوله تعالى: **(لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** [فصلت: ٤٢]. على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدًا. ويحمل آيات النسخ على التخصيص. ورد عليه بأن معنى الآية أن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله[٣].

٤ . جمهور العلماء: على جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعًا لأدلة:

أدلة جوازه سماعًا:

١. قال تعالى: **(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ)** [النحل١٠١]، ووجه الدلالة في هذه الآية أن التبديل يتألف من رفع لأصل وإثبات لبدل، وذلك هو النسخ، سواء أكان المرفوع تلاوة أم حكمًا.

٢. وقال: **(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)** [البقرة: ١٠٦]

٣. وفي الصحيح عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: لا أَدَعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى **(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)** [البقرة: ١٠٦][٤].

أما أدلة جوازه عقلاً:

١ . أن لله تعالى أن يكلف عباده بما شاء لمصلحة ولغير مصلحة. وأحوال العباد تختلف من حال إلى حال، فيختلف التكليف لمصلحة العباد، ألا ترى أن الرجل قد يكون من مصلحته في: وقت البر واللطف، وفي وقت آخر مصلحته: التشديد والعنف، ويبين صحة هذا أن الطاهر تصوم وتصلي والحائض تمنع منهما[٥].

---

(١) التبصرة، للشيرازي ٢٥٣، شرح الكوكب، لابن النجار٥٣٦/٣، الإحكام لابن حزم٤٤٦/٤، الإحكام للآمدي١٠٩/٣، اللمع، للشيرازي ص٣١.

(٢) هو محمد بن بحر، المشهور بأبي مسلم الأصفهاني، معتزلي، من كبار المفسرين ولد(٢٥٤هـ) وتوفى سنة ٣٢٢هـ. أهم كتبه "جامع التأويل" في التفسير. ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، ٥٩/١ الوافي بالوفيات، الصفدي ٢٤٤/٢، طبقات المفسرين للداودي ١٠٦/٢، لسان الميزان، لابن حجر، ٨٩/٥.

(٣) ينظر: اضطراب النقول عن أبي مسلم في مسألة جواز النسخ وعدمه في شرح الجوامع للمحلى، ٨٨/٢، التبصرة للشيرازي ص ٢٥١. وعلى فرض أن الخلاف لفظي مع الجمهورفأبو مسلم قد أساء الأدب مع الله في تحمسه لرأي قائم على تحاشي لفظ اختاره الله سبحانه وتعالى.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها)، ١٩/٦، ح٤٤٨١ .

(٥) العدة، لأبي يعلى ٧٧٢/٣.

٢ ـ إن النسخ لو لم يكن جائزًا عقلاً وواقعًا سمعًا، لما ثبتت رسالة سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة، لكن رسالته عامة للناس، ثابتة بالأدلة القاطعة، إذن فالشرائع السابقة ليست باقية، بل هي منسوخة بهذه الشريعة الختامية، وإذن فالنسخ جائز وواقع.

المبحث الخامس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة.

النسخ يرد في القرآن وقد يرد في السنة، وهو أقسام أربعة:

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن، وهو أنواع:

١. نسخ التلاوة والحكم معًا.
٢. نسخ الحكم دون التلاوة.
٣. ونسخ التلاوة دون الحكم.

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة: قد اختلف العلماء في هذا القسم بين مجوز ومانع ثم اختلف المجوزون بين قائل بالوقوع وقائل بعدمه.

والمجيزون هم المالكية وأصحاب أبي حنيفة والأشاعرة والمعتزلة.

والمانعون هم الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه وأكثر أهل الظاهر(١).

وهو نوعان:

ا–نسخ القرآن بالسنة الأحادية. والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والأحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب–ونسخ القرآن بالسنة المتواترة. وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية؛ لأن الكل وحي، قال تعالى: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)** [النجم: ٣–٤] ومنعه الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الأخرى، لقوله تعالى: **(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)** [البقرة: ١٠٦] والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله.

القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن: وهو جائز، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن في قوله: **(فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)** [البقرة:

---

(١) ينظر: العدة، لأبي يعلى ٧٨٨/٣، الرسالة، للشافعي، ص ١٠٨، تيسير التحرير، لأمير بادشاه، ٢٠٣/٣، شرح تنقيح الفصول، القرافي، ص٣١١، الإحكام، الآمدي ٤٧٧/٤.

١٤٤] ووجوب صوم يوم عاشوراء، كان ثابتًا بالسنة[١] ونسخ بقوله تعالى: **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)** [البقرة: ١٨٥] ومنع هذا القسم الشافعي في إحدى روايتيه، وقال:"وحيث وقع بالسنة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعه سنة عاضدة، تبين توافق الكتاب والسنة"[٢].

القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة:

وتحت هذا أربعة أنواع:

نسخ سنة متواترة بمتواترة. ونسخ آحاد بآحاد.

ونسخ آحاد بمتواترة. ونسخ سنة متواترة بآحاد.

والثلاثة الأولى جائزة عقلاً وشرعًا- أما النوع الرابع فالجمهور على عدم جوازه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، ٤٣/٣، ح٢٠٠١ بسنده عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر".

(٢) **تنظر المسألة في:** الرسالة، للشافعي، ٣١١-٣٤٥، تيسير التحرير، لأمير بادشاه ٢٠٢/٣، المستصفى، للغزالي،١٢٤/١، العدة، لأبي يعلى ٨٠٢/٣.

(٣) **تنظر: المسألة في:** العدة، لأبي يعلى ٨٢٦/٣، شرح تنقيح الفصول، القرافي ص ٣١٤، المحصول، للرازي٣،٥٣٢، نهاية السول، الأسنوي ١٨٦/٢، الإحكام لابن حزم ٤٨٨/٤، المستصفى، للغزالي، ١٢٦/١، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري ١٧٥/٣، شرح الكوكب، لابن النجار ٥٧٠/٣.

المبحث السادس: أنواع النسخ في القرآن:

والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

أما النوع الأول: نسخ الحكم وبقاء التلاوة:

وهذا النوع لا خلاف فيه عند القائلين بالنسخ، وذكر العلماء فيه الآيات المتعددة. والتحقيق أنها قليلة.

ومثاله: نسخ حكم آية العدة للمتوفى عنها زوجها بالحول مع بقاء تلاوتها، فالعدة كانت في بدء الأمر حولاً، فنسخت إلى أربعة أشهر وعشرا، وهما جميعًا في القرآن، قال تعالى﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] نسخ بقوله﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)**﴾ [البقرة: ٢٣٤] وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين(١).

ومثله آية المناجاة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[[المجادلة: ١٢] فقد أخرج الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: ١٢] قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: مَا تَرَى، دِينَارًا؟" قَالَ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَنِصْفُ دِينَارٍ؟ قُلْتُ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَكَمْ؟" قُلْتُ: شَعِيرَةٌ، قَالَ: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ" .قَالَ: فنزلت ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ..**﴾ [المجادلة: ١٣]. قَالَ: فَبِي خَفَّفَ اللهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ(٢).

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص٤١٤/١، فتح القدير للشوكاني ٢٥٩/١، الدر المنثور، للسيوطي ٣٠٩/١.
قال ابن كثير، رحمه الله عند تفسيره للآية: قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِالَّتِي قَبْلَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}. قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيع عَنْ حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكة، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} قَدْ نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا –أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ .
وَمَعْنَى هَذَا الْإِشْكَالِ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِعُثْمَانَ: إِذَا كَانَ حُكْمُهَا قَدْ نُسِخَ بِالْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ فَمَا الْحِكْمَةُ فِي إِبْقَاءِ رَسْمِهَا مَعَ زَوَالِ حُكْمِهَا، وَبَقَاءِ رَسْمِهَا بَعْدَ الَّتِي نَسَخَتْهَا يُوهِمُ بَقَاءَ حُكْمِهَا؟ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ، وَأَنَا وَجَدْتُهَا مُثْبَتَةً فِي الْمُصْحَفِ كَذَلِكَ بَعْدَهَا فَأُثْبِتُهَا حَيْثُ وَجَدْتُهَا.ا.هـ.
(٢) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الجمعة، ٣٢٩/٥ ،ح٣٣٠٠.

وعن علي بن أبي طالب قال: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت. وقال"وما كانت إلا ساعة من نهار"[1].

وقد يقال: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القرآن، كما يتلى ليعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يتلى كذلك لكونه كلام الله فيثاب عليه، فبقيت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيهما: أن النسخ غالبًا يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة في رفع المشقة. وأما حكمة النسخ قبل العمل، كالصدقة عند النجوى، فيثاب على الإيمان به، وعلى نية طاعة الأمر.

النوع الثاني: نسخ التلاوة والحكم معًا.

وقد مثل له العلماء بما رواه مسلم وغيره عن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ[2].

فنسخت العشر تلاوة وحكمًا بخمس، ونسخت الخمس تلاوة، وبقي حكمها عند الشافعية[3].

وهذا المثال فيه نظر.

أولاً: أن بعض الروايات تصف العشر-كما في رواية مسلم السابقة- بالمعلومات، وبعضها ليس فيه هذا الوصف، كما عند أبي داود[4].

ثانيًا: أن بعض الروايات تذكر أن رسول الله ﷺ توفي وهن مما يقرأ-كما في رواية مسلم السابقة- وبعضها تذكر أنه قد سقط من القرآن[5].

ثالثًا: أن بعض الروايات[6] تذكر أن العشر رضعات كانت أولا، ثم جاءت بعدها الخمس- كما في رواية مسلم السابقة- وبعضها يبين أن الخمس والعشر كانتا معًا.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١٩١/٥، الدر المنثور للسيوطي ١٨٥/٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات، ١٠٧٥/٢.

(٣) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب، ص ٤٤،٤٥ وشرح الكوكب، لابن النجار ٥٥٧/٣.

(٤) سنن أبي داود، كتاب النكاح ، باب هل يحرم ما دون خمس رضعات، ١٨٢/٢، ح٢٠٦٢.

(٥) سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، باب لا تحرم المصة ولا المصتان، ١٢٢/٣، ح١٩٤٢.

(٦) المصدر السابق، والمعجم الأوسط، للطبراني، ٩٩/٣، ح٢٦١١ .

فإذا كان هذا قرآنًا فلم الاختلاف الكبير فيه.

قال أبو شهبة:" فاختلاف الرواية عنها يدل على أنه كان باجتهاد منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة، ولو كان قرآنًا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف"(١).

قال فضل عباس :" وقد يقال : إن هذه الخلافات لا تؤثر فيه على هذه الرواية ويعتمد منها أصحها وهو ما جاء عند الإمام مسلم، لكن هذا الجواب لا يُذهب ما يُتصل بهذه الروايات من إشكالات، ولا يُذهب ما في النفوس من تساؤلات، فإذا كان هذا قرآنًا يقرؤه الناس فكيف يختلف الصحابة –رضوان الله عليهم– في عدد الرضعات المحرمة، وهذا الخلاف استمر بعد الصحابة إلى التابعين ومن بعدهم"(٢).

وقد نفي كونه قرآنًا بعض العلماء، وإليك بيان ذلك:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح، في معرض ذكر ما يقوي مذهب الجمهور القائلين بتحريم قليل الرضاع وكثيره: وأيضا فقول عائشة: عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فمات النبي ﷺ ، وهن مما يقرأ– لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قول الأصوليين؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والراوي روى هذا على أنه قرآن، لا خبر، فلم يثبت كونه قرآنًا، ولا ذكر الراوي أنه خبر ليقبل قوله فيه(٣).

وقال أبو شهبة:" إن هذه الرواية مهما صحت فهي آحادية لا يثبت بها قرآن؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، ثم هي أيضًا لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، وهو القرآن الذي بين أيدينا اليوم، وغاية ما تدل عليه هذه الرواية أنها خبر لا قرآن.

وقال أيضًا:" ومما يدل على أنه ليس قرآنًا، وأنه كان تشريعًا ثابتًا بالسنة، ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها في القدر المحرم"(٤).

فمما سبق يتضح لنا عدم قرآنية ما جاء عن عائشة رضي الله عنها" كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات"

النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

واستدل العلماء لهذا النوع بآية الرجم.

وقد جاء التصريح بذكرها عند النسائي وغيره من حديث عمر رضي الله عنه وهي: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ"(١).

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبوشهبة، ٢٩٦.

(٢) اتقان البرهان، فضل عباس: ص٣٨.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١٤٧/٩ .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، ٢٩٥.

واستدلالهم بحديث عمر رضي الله عنه، فيه نظر.

١. أنه لم يأت التصريح عند البخاري بقوله الشيخ والشيخة[٢]، قال ابن حجر:" ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمدًا"[٣].

٢. قال النسائي:" لا أعلم أحدًا ذكر في هذا الحديث الشيخ والشيخة غير سفيان وينبغي أن يكون وهم في ذلك[٤].

٣. وقال الشيخ أبو شهبة:" هذه الروايات آحادية فهي لا يثبت بها قرآن، ولا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، وغاية ما تدل عليه أنها حديث من أحاديث رسول الله، وسنة من السنن"[٥].

٤. أخرج مالك في موطئه عن عمر... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: زَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي كِتَابِ اللهِ، لَكَتَبْتُهَا (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا اَلْبَتَّةَ) فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا[٦]. قال أبو شهبة:" إذ لا يقال: زاد لما عرف أنه منه، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة وحكما لازما حث على حفظها وقراءتها ودراستها، حتى لا يغفل الناس عنها، كما حث على حفظ آي القرآن.

٥. أنه ورد نصُّ الآية بعبارات مختلفة، فواحدة منها تذكر قيد الزنا بعد ذكر الشيخ والشيخة، وواحدة لا تذكره، وثالثة تذكر عبارة "نكالاً من الله"، ورابعة لا تذكرها، وما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية ولو نُسِخَ لفظها، وفي بعض هذه الروايات جاءت بعض العبارات التي لا تتفق ومكانة عمر ولا عائشة، مما يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسِّهَا على المسلمين[٧].

٦. قال الشيخ أبو شهبة:" وإن نظرة فاحصة في «الشيخ والشيخة... إلخ» لترينا أنها ليس عليها نور القرآن ومسحته، ولا فيها حكمته وإعجازه"[٨].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، تثبيت الرجم، ٤١٠/٦، ح٧١٣٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ١٦٨/٨، ح٦٨٣٠.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٤٣/١٢ .

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، تثبيت الرجم، ٤١٠/٦، ح٧١٣٥.

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ٣٠٢، وينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ٢٥٠ .

(٦) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب الرجم ٢/ ٨٢٤، والشافعي في ترتيب مسند الشافعي ٨١/٢ وابن ماجة في الحدود، باب الرجم، ٨٥٣/٢

(٧) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ٢٥٠.

(٨) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ص٣٠٣.

قال أبو جعفر: "وإسناد الحديث صحيح إلا أنه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ولكنه سنة ثابتة"(١).

وبعد البيان لهذه الأنواع يتبين لنا أن النوع الأول وهو (نسخ الحكم وبقاء لتلاوة) قد تحقق في القرآن الكريم، لذا فهو مقبول .

أما النوع الثاني والثالث: فمرفوضان؛ لأنهما لم يتحققا في واقعة واحدة.

المبحث السابع: النسخ إلى بدل وإلى غير بدل:

الحكم الذي ينسخ، إما أن يحل مكانه حكمًا آخر فهو النسخ ببدل، وإما لا، فهو النسخ بغير بدل وكلاهما جائز عقلاً وواقع سمعًا على رأي الجمهور(٢).

١ . فالنسخ إلى غير بدل: كنسخ تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: ١٢].

نسخت بقوله: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا...**﴾ [المجادلة: ١٣] فرفع هذا التكليف من غير أن يكلف الناس بشيء مكانه، بل تركهم في حل من ترك الحكم الأول دون أن يوجه حكمًا آخر.

وأنكر بعض المعتزلة والظاهرية ذلك، وقالوا: إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ [البقرة: ١٠٦]. حيث أفادت الآية أنه لا بد أن يؤتي مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر خير منه أو مثله(٣).

ويجاب عن ذلك بأن الله تعالى، إذا نسخ حكم الآية بغير بدل، فإن هذا يكون بمقتضى حكمته، ورعايته لمصلحة عباده، فيكون عدم الحكم خيرًا من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس، ويصح حينئذ أن يقال: إن الله نسخ حكم الآية السابقة بما هو خير منها حيث كان عدم الحكم خيرًا للناس.

٢ . النسخ إلى بدل أخف: مثل قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾ [البقرة:١٨٧] الآية– فهي ناسخة لقوله: ﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [البقرة:١٨٣]؛ لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا العتمة أو ناموا إلى الليلة التالية، كما ذكروا ذلك.

---

(١) الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ص٦١ .

(٢) ينظر: العدة، لأبي يعلى ٧٨٥/٣، مناهل العرفان، للزرقاني، ١٨٦/٢.

(٣) ينظر: شرح الكوكب، لابن النجار ٥٤٥/٣، الإحكام للآمدى ١٣٥/٣، إرشاد الفحول، الشوكاني ص ١٨٧، المستصفى، للغزالي، ١١٩/١، فواتح الرحموت، للسهالوي ٦٩/٢.

٣ . النسخ إلى بدل مساو: كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾**البقرة ١٤٤]**.

٤ . والنسخ إلى بدل أثقل: كنسخ صوم يوم عاشوراء، بصوم شهر رمضان كله.

ونحوه كنسخ إباحة الخمر بتحريمها، ومنه أنه تعالى نسخ ما فرض من مسالمة الكفار المحاربين بما فرض من قتالهم وهو كره.

وهذا النوع محل خلاف، والجمهور على الجواز[١].

(١) تفسير ابن كثير، ٢٠٤/٢.

أسئلة للمناقشة:

١) عرّف النسخ لغة واصطلاحًا مع شرح التعريف
٢) هل يقع النسخ قبل وقت الفعل؟ دلل على ما تقول.
٣) وضح شروط النسخ.
٤) بيّن ما يقع فيه النسخ ومالا يقع .
٥) لمعرفة النسخ أهمية كبرى، وضح ذلك.
٦) ما حكم النسخ؟ ، وما طرق معرفته؟
٧) اذكر آراء العلماء في حقيقة النسخ مع ذكر أدلتهم .
٨) اذكر أدلة جواز النسخ عقلاً وسمعًا
٩) هل يجوز نسخ القرآن بالسنة؟
١٠) أكمل ما يأتي

أ. أنكر.....النسخ، بينما توسع فيه .....، وقال بجواز وقوعه عقلا وامتناع وقوعه شرعًا .....

ب. أنواع النسخ في القرآن ثلاثة هي .....، .....، .....

١١) اذكر مثالا لنسخ السنة بالقرآن.
١٢) ما أنواع نسخ السنة بالسنة؟
١٣) ما وجه الدليل في قوله تعالى **(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا)** [البقرة: ١٠٦]
١٤) اذكر مثالا لما يأتي:

أ- نسخ إلى بدل أخف.
ب-نسخ إلى بدل مساو.
ج- نسخ إلى بدل أثقل.
د- نسخ إلى غير بدل.

الفصل الثامن: المثل في القرآن الكريم[1].

في عرضنا لمثل القرآن، وقسمه، وجدله، سنحرص على الإيجاز في هذا التناول بالقدر الذي يسمح بإعطاء ملامح الصورة العامة لكل منها[2].

المثل:

ورد في كتاب الله العزيز – في أكثر من آية – أنه سبحانه وتعالى يضرب الأمثال، في مثل قوله تعالى:(**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** [الحشر: ٢١] وقوله تعالى:(**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)** [العنكبوت: ٤٣] ، وقوله:(**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)** [الزمر: ٢٧].

قال الماوردي: من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه؛ لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام.

وقد عده الإمام الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته[3].

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرًا ووعظًا، فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام[4].

وكما عنى العلماء بأمثال القرآن، فإنهم عنوا كذلك بالأمثال النبوية. وعقد لها أبو عيسى الترمذي بابا في جامعه، أورد فيه ستة عشر حديثا[5].

المبحث الأول: تعريف المثل:

الأمثال: جمع مثل، والمثل والمثيل، كالشبه والشبيه لفظا ومعنى، وسمى"المثل"؛ لأنه ماثل بخاطر الإنسان، أي: شاخص يتأسى به ويتعظ، ويخشى ويرجى[1].

---

(١) لقد تناول الأمثال، وكتب فيها جهابذة الأدباء والحكماء والبلاغيين والمفسرين، مثل: الأصمعي وأبي عبيد، القاسم بن سلام، والمفضل الضبي، والزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، والزرقاني في مناهل العرفان، .

(٢) ينظر دراسات في علوم القرآن: د. عبد الخالق محمود، ص٧٥–١١٥، الإتقان، للسيوطي، ١٦٧/٢.

(٣) الإتقان، للسيوطي، ١٣١/٢.

(٤) المصدر السابق. وتنظر الآيات ١٧–٢٠، من سورة البقرة.

(٥) سنن الترمذي، أبواب عن رسول الله ﷺ، ٥٣٩/٤، وينظر: الإتقان، للسيوطي،، ١٣١/٢. وقال القاضي أبو بكر بن العربي –رحمه الله تبارك وتعالى– مشيدًا بفعل الترمذي هذا، فقال: "لم أرَ من أهل الحديث من صنَّفَ فأفردَ للأمثال بابًا غير أبي عيسى، ولله دَرُّه، لقد فتح بابًا، وبنى قصرًا أو دارًا، ولكنه اختطَّ خطًّا صغيرًا فنحن نقنع به، ونشكره عليه".

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات، كقوله تعالى: **(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)** [محمد: ١٥][٢]، أي: قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

وأشار الزمخشري إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال:"والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضروبه بمورده، ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه – ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة[٣].

وهناك معنى رابع، ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل، فهو عندهم: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة، متى فشي استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية. كقولك للمتردد في فعل أمر:"ما لي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"[٤].

وقيل في ضابط المثل كذلك: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسيه روعة وجمالا، والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له موردا، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا.

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن التي يذكرها المؤلفون، وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أم بطريق التشبيه الصريح، أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه، فإنّ الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل.

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال؛ إذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة، وما لم يفش استعماله.

ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن. **فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا[٥].**

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ١٦٧/٢، ١٦٨، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان ص١٣٨، وينظر: الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، ص٢٧.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري،٨٤/١٤.

٣- ينظر: الكشاف، للزمخشري، ١٤٩/١.

(٤) ينظر: نقد النثر لقدامة بن جعفر، ٧٣، أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ص٨٢.

(٥) وكان الشيخ محمود شلتوت، يرى أن الأمثال المضروبة في القرآن الكريم لمجرد التمثيل المطلق، يجوز للمؤمن أن يعتقد أنها تقريب من الله وتمثيل، لكنه كان يرى أن القصص القرآني من صميم الواقع لا شك في ذلك، وقد نقد رأيه في الأمثال القرآنية نقدا شديدا.

المبحث الثاني: أنواع الأمثال في القرآن:

فرّق الباحثون بين الأمثال القرآنية، وفقا لظهور المثل وكمونه، وطوله وقصره، وقيامه على التشبيه والتمثيل، وعدم قيامه عليهما، إلى غير ذلك من الاعتبارات.

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:

الأول: مثل ظاهر، مصرح به.

الثاني: مثل كامن[1].

الثالث: الأمثال المرسلة (جارية مجرى المثل).

المطلب الأول: النوع الأول: الأمثال المصرحة:

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى في حق المنافقين:(**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[البقرة:١٧-٢٠] [2].

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلا بالنار في قوله"كمثل الذي استوقد نارا..." لما في النار من مادة النور، ومثلا بالمطر في قوله: (أو كصيب من السماء) لما في الماء من مادة الحياة، وقد نزل الوحي من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين، فهم بمنزلة من استوقد نارا للإضاءة والنفع؛ حيث انتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله بما في النار من الإضاءة"ذهب الله بنورهم" وأبقى ما فيها من الإحراق.

والذي نؤمن به أن المثقف الراقي المتدين ينبغي أن يؤمن في غاية من اليقين، أن كل ما ورد في (القرآن الكريم) بإطلاق، حق لا مرية فيه ولا شك ولا تأويل؛ لأنه ببساطة – ليس إلا كلمات الله تعالى، العالم بكل شيء، القادر على كل شيء فأمثاله كلها حق؛ لأن كل مثال ضرب منها لابد أن يكون قد حدث؛ لأنه يروى أمرا لا استحالة في حدوثه عقلا أو عادة أو تاريخا، فما مبرر القول إذن بالتقريب والتمثيل، والكلمات لله تعالى!. ينظر: مدخل للدراسات الإسلامية د. محمد بلتاجي ص٢٩٥-٢٩٦، رسالة الإسلام التي تصدرها دار التقريب بالقاهرة، العدد الثالث، من السنة السابعة ص٢٣٣.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي،٤٨٦/١،الإتقان، للسيوطي، ١٣٢/٢،جواهر الأدب للهاشمي،٢٨٨/١.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، والإتقان، للسيوطي، الموضع السابق.

وذكر مثلهم المائي، فشبههم بحال من أصابهم مطر، فيه ظلمة ورعد وبرق، فخارت قواه ووضع أصبعيه في أذنيه وأغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه؛ لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق.

قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم:"هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفئ، فلما ماتوا، سلبهم الله العز، كما سلب صاحب النار ضوءه"**وتركهم في ظلمات**"، يقول: في عذاب، **أو كصيب**، هو المطر، ضرب مثله في القرآن" **فيه ظلمات**" يقول ابتلاء" **ورعد وبرق**" تخويفا" **يكاد البرق يخطف أبصارهم**" يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين"**كلما أضاء لهم مشوا فيه**" يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزا واطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة، قاموا فأبوا ليرجعوا إلى الكفر كقوله تعالى : (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ)** [الحج: ١١] [(١)].

وذكر الله المثلين المائي والناري – في سورة الرعد للحق والباطل، فقال تعالى: **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)** [الرعد: ١٧] [(٢)].

شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء، الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جري في الأودية، احتمل زبدا وغثاء. فكذلك الهدى والعلم، إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات، ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله:"**أنزل من السماء ماء...**" وهكذا يضرب الله الحق والباطل. وذكر المثل الناري في قوله:"**ومما يوقدون عليه في النار...**" فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد، عند سكبها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر، الذي ينتفع به فيذهب جفاء. فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث.

قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها، فأما الزبد فيذهب جفاء – وهو الشك – وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض – وهو اليقين، كما يجعل الحلى في النار، فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك. وقال عطاء: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

وعن قتادة: هذه ثلاثة أمثال، ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في

---

(١) ينظر: فتح القدير، للشوكاني ٥/١.

(٢) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ١١٨/١.

الأرض، فأمرعت وربت بركته وأخرجت نباتها. وكذلك الذهب والفضة حين أدخل في النار، فأذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله، وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل في النار، كذلك يضمحل الباطل عن أهله[1].

المطلب الثاني: النوع الثاني: الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

١-ما في معنى قولهم:"خير الأمور أوساطها".

أ. قوله تعالى في البقرة :(**لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)** [البقرة: ٦٨].

ب. قوله تعالى في النفقة :(**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)**[الفرقان: ٦٧].

ت. قوله تعالى في الصلاة :(**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)** [الإسراء: ١١٠].

ث. قوله تعالى في الإنفاق:(**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)**[الإسراء: ٢٩].

٢- ما في معنى قولهم:"ليس الخبر كالمعاينة".

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام:(**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)** [البقرة: ٢٦٠].

٣-ما في معنى قولهم:"كما تدين تدان"

قوله تعالى:(**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)** [سورة النساء: ١٢٣].

٤-ما في معنى قولهم:"لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

قوله تعالى على لسان يعقوب:(**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ)** [يوسف: ٦٤] [2].

وقد ذكر السيوطي في الإتقان عن الماوردي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله:... وذكر مجموعة من الأمثلة وما يقابلها من آيات قرآنية

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ١٦٨/٢.

(٢) ما ذكر من الأمثلة الكامنة ذكرها الزركشي في البرهان ٤٨٦/١، وهناك كتاب في الأمثلة الكامنة غير مطبوع، ألفه الحسن بن الفضل " الأمثلة القرآنية الكامنة" أشار إليه د. محمد جابر فياض،ص٢٠٤، وجزم باستفادة الزركشي منه في الأمثلة الكامنة، وينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، ص١٦.

ومنها: من جهل شيئا عاداه، احذر شر من أحسنت إليه، في الحركات البركات، لا تلد الحية إلا حبيبه، للحيطان آذان، وغير ذلك من الأمثلة[١].

المطلب الثالث: النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم[٢].

وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

وسميت"المثل السائر". ومعنى السائر: أنه كثر استعماله، ويقال أيضا:"تشبيه سائر"[٣]. ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

(الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) [يوسف: ٥١]،:**(لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ)** [النجم: ٥٨]،**(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)** [يوسف: ٤١]،**(إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)** [هود: ٨١]،**(لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ)** [الأنعام: ٦٧]،**(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)**[فاطر: ٤٣]، **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)** [الروم: ٤١]،:**(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)**[البقرة: ٢٨٦]، :**(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** [المدثر: ١٤]، **(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ)** [المائدة: ٩٩]،**(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)** [الرحمن: ٦٠]، إلى غير ذلك من الآيات وهي كثيرة جدا في سور القرآن الكريم.

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل، ما حكم استعماله استعمال الأمثال؟

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن، قال الرازي في تفسير قوله تعالى:" لكم دينكم ولي دين" جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة، وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل ليتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه.

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول:" ليس لها من دون الله كاشفة"، أو

---

(١) الإتقان، للسيوطي، ١٦٨/٢، ١٦٩، البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٤٩٠/١-٤٩٥.

(٢) ذكر الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، ص١٨-١٩، اثنى عشر لفظا من القرآن، رأى أنها جارية مجرى المثل السائر.

(٣) ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب في البيان ص١٣٥، نهاية الإيجاز، للرازي ص٢٣٠، وقد أفرد ابن رشيق بابا مستقلا للحديث عن المثل السائر مفصولا عن التشبيه والتمثيل. العمدة، لابن رشيق٢٨٠/١-٢٨٦.

يحاوره صاحب مذهب فاسد، يحاول استهواءه إلى باطله فيقول:" لكم دينكم ولي دين"، والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة، فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح"[1].

المبحث الثالث: ما يتمثل به من قصص الأنبياء.

يضرب المثل بسفينة نوح، ونار إبراهيم، وذئب يوسف، وحوت يونس، وعصا موسى، وخاتم سليمان، وناقة صالح، وحمار عزير.

قيل للحسن بن يسار البصري رحمه الله: أيكذب المؤمن للمؤمن؟ فقال: أنسيتم إخوة يوسف؟ وكان يقال: لا يغرنكم البكاء، فإن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

ومن قصة موسى قولهم: الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين. يريدون قوله عز:(**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ**) [الشعراء:٢١].

ويقال: بيت فلان أفرغ من فؤاد أم موسى.

ويقول من ينبه على براءة ساحته: إني لم أعقر ناقة صالح.

ويقال: فقر كفقر الأنبياء؛ لأن فقراءهم أكثر من أغنيائهم.

ويقال: فلان خليفة الخضر، إذا كان يديم السفر ويكثر المسير[2].

المبحث الرابع : أغراض الأمثال:[3].

١- الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية، قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى:(**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) [البقرة: ٢٦٤].

٢- وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى:(**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**) [البقرة: ٢٧٥].

٣- وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة؛ كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة في الآيات السابقة الذكر.

---

(١) ينظر: البرهان للزركشي ٤٨٦/١، الاتقان للسيوطي،١٣٢/٢، جواهر الأدب للهاشمي،٢٨٨/١.

(٢) ينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي ١٩-٢١، وقد اعتبرها البعض من الأمثال المستوحاة من قصص القرآن وآياته ينظر: الأمثال في القرآن الكريم وأثرها، ص١٧١، محمود بن شريف .

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي، ١٣١/٢، البرهان في علوم القرآن للزركشي،،٤٨٦/١-٤٨٧.

٤- ويضرب المثل للترغيب في الممثل؛ حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس، كقوله تعالى:(**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**)[البقرة:٢٦١].

٥- ويضرب المثل للتنفير؛ حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، كقوله تعالى في النهي عن الغيبة:(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)** [الحجرات: ١٢].

٦- ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة:(**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)** [الفتح: ٢٩]. وكذلك حال الصحابة، فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجابا بعظمتهم.

٧- ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس: كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه، فتنكب الطريق عن العمل به وانحدر في الدنيا منغمسا. قال تعالى:(**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)** [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

٨- والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، قال تعالى:(**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)[الزمر: ٢٧]. قال تعالى:(**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)** [العنكبوت: ٤٣]. وضربها النبي ﷺ في حديثه(١).

ويكره العلماء ضرب الأمثال بالقرآن، ففي كتاب"فضائل القرآن لأبي عبيد النخعي" قال: كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا. قال أبو عبيد: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بحاجته، فيأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح :(**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى)** [سورة طه: آية ٤٠](٢)، فهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب الزهري: لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسوله ﷺ. قال أبو عبيد: يقول: لا تجعل لها نظيرا من القول ولا من الفعل.

---

(١) من ذلك قوله ﷺ: "الأعمال بالنيات" "إن من الشعر لحكمة" "لا ضرر ولا ضرار" "أنزلوا الناس منازلهم" "مطل الغني ظلم" "من غشنا فليس منا" " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس" "كل ميسر لما خلق له" "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" "الأعمال بخواتيمها" "المرء على دين خليله" "دع ما يريبك إلى مالا يريبك" "المجالس بالأمانة" إلى غير ذلك.

(٢) ينظر: البرهان، للزركشي، ٤٨٦/١، الإتقان، للسيوطي، ٤٥/٤.

المبحث الخامس : الدور التربوي للأمثال:

تلعب الأمثال دورًا مهما في العملية التربوية، فهي من أحد الأساليب المهمة فيها ، بما تمتلكه من قدرة مؤثرة في النفوس البشرية، فهي تكشف الحقائق وتوضح المعاني وتصورها في قوالب فنية محسوسة، كما تؤثر في سلوك الفرد وتفكيره، وتوجه الانفعالات والعواطف، وتغرس في النفوس المبادئ والأخلاق السامية، وتحرك نوازع الخير لدى الإنسان، وتربيه عقليًا، وأخلاقيًا، وسلوكيًا، واجتماعيًا؛ فهي أبلغ في الوعظ، وأوقع في النفس، وتسهم في الوصول إلى النتائج المطلوبة عن طريق تغيير السلوك وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

وضرب الأمثال طريقة تربوية ناجعة تؤثر تأثيرًا عميقًا في العملية الإصلاحية.

وقد نبه كثير من العلماء إلى أهمية الأمثال، وفيما يلي بيان من أقوالهم:

يقول العلامة أبو السعود:" التمثيلَ ألطفُ ذريعةٍ إلى تسخير الوهم للعقل واستنزالِه من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلةٍ إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع ثورة الجامح الآبي، كيف لا! وهو رفعُ الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازٌ لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداءٌ للمنكر في صورة المعروف، وإظهارٌ للوحشي في هيئة المألوف"(١).

ويقول العلامة الزمخشري: "التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيمًا، كان المتمثل به مثله، وإن كان صغيرًا كان المتمثل به كذلك"(٢).

وقال العلامة الأصبهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثال والنظائر شيء ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق تريك به المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامح الأبي فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه(٣).

فينبغي علينا دراسة الأمثال القرآنية والنبوية والاستفادة منها ومن نهجها وطريقتها وأسلوبها في تذليل الصعوبات التعليمية، لما لها من أهمية في القدرة على التوضيح والتأثير وعرض الحقائق بصورة واضحة ومقنعة .

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٠/١.

(٢) تفسير الزمخشري، ١١١/١.

(٣) الإتقان، للسيوطي، ٤٥/٤.

أسئلة للمناقشة:

١) عرّف المثل لغة واصطلاحًا.
٢) ما أنواع الأمثال في القرآن؟
٣) استخرج من القرآن الكريم معنى الأمثال الآتية:
- ليس الخبر كالمعاينة"
- كما تدين تدان"
- خير الأمور أوساطها"
٤) بيّن أغراض الأمثال الآتية:

أ. قال تعالى :(**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** [البقرة: ٢٦٤].

ب. قال تعالى :(**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)** [البقرة: ٢٧٥].

٥) هل يجوز ضرب الأمثال بالقرآن؟
٦) حدد نوع المثل فيما يأتي:
- **(الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) .**
- **(وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .**
- **(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**

الفصل التاسع: القسم في القرآن الكريم[1].

المبحث الأول: القسم وأنواعه:

الأقسام جمع قسم: بفتح السين، بمعنى الحلف واليمين، وصيغة القسم الأصلية أن يؤتى بالفعل أقسم أو أحلف متعديا بالباء إلى المقسم به. ثم يأتي المقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم. فأجزاء صيغة القسم ثلاثية: الفعل الذي يتعدى بالباء، والمقسم به، والمقسم عليه.

والقسم في اللغة العربية نوعان:

قسم صريح (ظاهر): وهو ما ذكر معه حرف من حروف القسم: كالواو أو الباء، أو ما ذكر معه فعل من الأفعال الدالة عليه: كأقسم وحلف، أو ما ذكر معه الحرف والفعل معا نحو" أقسم بالله"، أو ما يدل عليه لفظ من ألفاظه، أسما كان أو مصدرا نحو:"يمين الله" أو"قسما بالله".

قسم مضمر: وهو ما لم يذكر معه القسم صريحا، وله صورتان:

- ما دلت عليه اللام نحو قوله تعالى:(**قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)** [الشعراء: ١١٦] وقوله تعالى:(**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** [آل عمران: ١٨٦].
- وما دل عليه المعنى نحو قوله سبحانه:(**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)** [الطارق: ٤]، وقوله تعالى:(**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا)**[مريم: ٧١]، والتقدير في الحالتين"والله".

وقد ورد القسم في القرآن الكريم صريحا ومضمرا في آيات كثيرة، وإن كان أكثر وروده في الآيات المكية. وقد جرى القسم المضمر في القرآن الكريم على أساليب العرب المألوفة لهم، أما

---

(١) هذا المبحث مستفاد من " التبيان في أقسام القرآن" لابن قيم الجوزية،ص ٥٧-٦٣. وتناول الكتاب جميع المواضع التي ورد فيها القسم صريحا أو ضمنا في القرآن الكريم، مبتدئاً بالآيات، وعرضها من آخر المصحف إلى أوله، مناقشا ومبينا تفسير الآيات في السور القصيرة التي تبتدئ بالقسم حتى نهايتها، وموضحا علاقة القسم في السورة بالمقسم عليه وجواب القسم، وعلاقة القسم بالسورة نفسها، وما ورد فيها من معان .

وقد ضمّن المؤلف كتابه هذا اختلافات المفسرين واللغويين في الآيات المذكورة عند القسم، مرجحا بعض الأوجه على بعض، وقد يستطرد في بعض الآيات، فيخرج إلى معان أخرى خارجة عن القسم، فيذكر أكثر من مئة صفحة أو نحوها في بحث الأجهزة التي خلقها الله في جسم الإنسان وبيان وظائفها والإعجاز فيها، ثم يعود إلى الحديث عن القسم في الآية. تح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

القسم الصريح فهو الذي لفت نظر المفسرين والباحثين، لما يمتاز به من خصائص مميزة له انفرد بها دون غيره من كلام العرب.

وقد ورد هذا القسم الصريح في إحدى وثمانين آية، أكثرها مكي، فمنها ثلاث وستون آية مكية، وثماني عشرة آية مدنية.

ويرجع السبب في انتشار القسم في المرحلة المكية، إلى أن هذه المرحلة في تاريخ الدعوة الإسلامية هي التي شهدت حملات الرفض والإنكار لهذه الدعوة، والتشكيك فيما جاء به الدين الجديد من أمور غيبية جديدة على العرب لم يكونوا على استعداد لتقبلها، أو من أمور روحانية لم تهيئ لهم حياتهم المادية فرصة الاقتناع بها.

المبحث الثاني: لمَ أقسم الله تعالى:

إذا كانت الغاية من القسم: تحقيق الخبر وتوكيده، فما معنى قسم الله تعالى؟

إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده. وعلى ذلك فهناك سببان ، هما :

- **أن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم، إذا أرادت أن تؤكد أمرا.**
- **ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحكم يفصل بأمرين:**

إما الشهادة في مثل قوله تعالى:(**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [آل عمران: ١٨] أو القسم في مثل قوله تعالى:(**قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)** [يونس: ٥٣]، وقد روى عن بعض الأعراب أنه سمع قوله تعالى:(**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**) [الذاريات: ٢٢ – ٢٣]، صرخ وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين.

وإذا كان القسم باسم معظم فكيف أقسم الله بمخلوقاته في الوقت الذي ورد فيه النهي عن القسم بغير الله؟ قال السيوطي:

أجيب عنه بأوجه:

أحدها: أنه على حذف مضاف: أي: ورب التين، ورب الشمس في قوله تعالى: **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)** [التين: ١]، وقوله (**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**) [الشمس: ١]، ومثله الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفونه.

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله، وهو فوقه، والله تعالى ليس فوقه شيء، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛ لأنها تدل على بارئ وصانع.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن الله يقسم بما يشاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله.

القسم بالنبي ﷺ:

قال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله تعالى(**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)** [الحجر:٧٢]. لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه.

وقد أخرج الطبري عن ابن عباس: مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ، قال الله تعالى ذكره: (**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)** [الحجر: ٧٢] (١).

قال ابن كثير:"أقسم الله تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض... يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا"(٢).

المبحث الثالث: بم يقسم الله؟

وقد جرى القسم في القرآن الكريم على خمسة أساليب: فالله سبحانه يقسم بذاته الموصوفة بصفاته، ويقسم بآياته المستلزمة لذاته، ويقسم بنبيه ﷺ، ويقسم ببعض مخلوقاته، ويقسم بالقرآن الكريم.

المطلب الأول : قسم الله تعالى بذاته:

فقد ورد في عشر آيات، منها آيتان مدنيتان، والثماني الباقيات مكية، وهي:

١. **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [النساء: ٦٥].

٢. **(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)** [التغابن: ٧].

٣. **(وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)** [يونس:٥٣].

٤. **(فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الحجر: ٩٢].

٥. **(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ)** [النحل: ٥٦].

٦. **(تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [النحل:٦٣].

---

(١) جامع البيان، للطبري، ١١٨/١٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٥٥٥/٢.

٧. **(فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا)** [مريم:٦٨].

٨. **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)** [سبأ: ٣].

٩. **(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)** [الذاريات: ٢٣].

١٠. **(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ)** [المعارج ٤٠-٤١].

المطلب الثاني : القسم بالقرآن الكريم:

ورد القسم بالقرآن في خمسة مواضع، كلها مسبوقة بالحروف المقطعة التي افتتحت بها السور، وكلها أيضا مكية، وهي:

١- **(يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [يس:١-٣].

٢- **(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)** [ص:١،٢].

٣- **(حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** [الزخرف:١-٣].

٤- **(حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)** [الدخان:١-٣].

٥- **(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)** [ق:١-٢].

المطلب الثالث: القسم بالنبي ﷺ :

فقد ورد في موضع واحد، وهو قوله تعالى: (**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)** [الحجر:٧٢].

أما أكثر أقسام القرآن انتشارا في آياته الكريمة، فهي القسم بآياته ومخلوقاته، وهي التي تميز أسلوب القسم فيه بهذا الطابع الفريد الذي ينفرد به.

والظاهرة التي تلفت النظر أن هذا الأسلوب من القسم، انفردت به الآيات المكية وحدها، ولم يرد في أي آية مدنية، كما يلفت النظر أيضا أن كل هذه الأقسام وردت في فواتح السور.

أقسم الله بمخلوقاته، فأقسم بالملائكة في سورة الصافات وفي سورة النازعات.

وأقسم سبحانه بالخيل في سورة العاديات.

المطلب الرابع: القسم بمظاهر الطبيعة :

أقسم سبحانه بمظاهر الطبيعة الدالة على عظم صنعه وعظيم قدرته الناطقة بوجوده ووحدانيته، وأنه رب السموات والأرض وما فيهن، فأقسم بالسماء والأرض، وبالشمس والقمر والنجوم والكواكب وأقسم بالليل والنهار ومراحلهما المتعاقبة: الفجر والصبح والضحى والعصر والشفق.

قال تعالى :(وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا)[الشمس: ٥ -٦].

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) [الطارق: ١١ -١٢].

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) [الذاريات:٧]،**(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)** [البروج: ١].

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ) [الطارق:١-٣].

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا)[الشمس:١-٤].

(وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) [الليل: ١-٢].

(وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) [الفجر:١-٤].

(وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) [الضحى:١ -٢].

(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) [العصر:١،٢].

(فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) [الانشقاق: ١٦-١٨]

(كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) [المدثر: ٣٢-٣٤].

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) [النجم: ١].

(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)) [التكوير:١٥-١٨].

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) [الواقعة:٧٥،٧٦].

وكذلك أقسم سبحانه بالرياح والسحاب وبالبحر والجبل.

(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)) [الذاريات:١-٤] .

(وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) المرسلات:١-٣].

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) [الطور:٦].

المطلب الخامس: القسم بالأزمنة:

أقسم سبحانه بالأزمنة التي تحدد حركة الكون بإرادته وتقديره، أقسم بالأمكنة المقدسة التي شاءت حكمته أن تكون أرض رسالاته ورسله: أقسم بطور سيناء حيث كلم موسى، وبفلسطين حيث ظهر عيسى، وبمكة المكرمة حيث بعث محمد عليه الصلاة والسلام.

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) [التين:١-٣].

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) [البلد: ١-٢].

والمفسرون على أن التين والزيتون بلاد الشام، والبلد الأمين مكة المكرمة[١].

المطلب السادس: القسم بيوم القيامة :

أقسم سبحانه بيوم القيامة، وبالنفس السوية، والنفس اللوامة، وأقسم بالقلم الذي علم به الإنسان ما لم يعلم وأقسم بالكتاب.

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) [القيامة:١،٢]

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)[الشمس:٧،٨].

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [القلم،١].

(وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ) [الطور: ١-٣].

---

(١) لجأ بعض المفسرين إلى استنتاج الدلالة بالتين والزيتون علي منابتهما الأصلية من الأرض. فطور سينين هو الجبل الذي نودي موسي(عليه السلام) من جانبه في شبه جزيرة سيناء(أو سينا) ومعناها في اللغة: المباركة الحسنة، والجبل معروف اليوم باسم جبل موسي(أو جبل المناجاة)، والبلد الأمين هي: مكة المكرمة، وحرمها الآمن، وبها الكعبة المشرفة. وعطفُ القسم بهذين المكانين المباركين على القسم بكل من التين والزيتون أوحى إلى عدد من المفسرين إلى الاستنتاج بأن القسم بهاتين الثمرتين قد يتضمن من أحد جوانبه الإشارة إلى كرامة منابتهما الأصلية من الأرض، وذلك من مثل كل من بيت المقدس وبجواره طور تينا، وبه المسجد الأقصى المبارك. ومن أشهر منابت كل من التين والزيتون(بأنواعهما المتميزة) بلاد الشام، والأولي بها طور تينا بجوار دمشق، وإن كانت الصياغة القرآنية في مطلع سورة التين واضحة الدلالة على الثمرتين اللتين تؤكلان باسم التين والزيتون، إلا أن ذلك لا ينفي الإشارة إلى منابتهما من الأرض، حتى يرتبط السياق بالقسم التالي بمكانين من أشرف أماكن الأرض، وفيها مكة المكرمة أشرفها على الإطلاق.

ينظر: من أسرار القرآن. الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، د. زغلول النجار.الشبكة الدولية للأنترنت – منتدى أبناء مصر. وفي أقوال المفسرين ينظر: القرطبي وابن كثير وغيرهما من التفاسير في موضع تفسير الآيات في سورة " التين".

المطلب السابع : أعم قسم في القرآن الكريم :

أما أعم قسم ورد في القرآن فهو قوله تعالى:(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)[الحاقة:٣٨-٤٠]، أقسم به سبحانه ليؤكد رسالة محمد سيد الأنبياء وخاتم المرسلين وخير خلقه أجمعين ﷺ.

المبحث الرابع: علام يقسم الله تعالى.

من يتتبع القسم في القرآن الكريم، يلحظ أن الله تعالى يقسم على أصول الإيمان الثلاثة: التوحيد، والرسالة، والبعث.

وتحت هذه الأصول الكبرى تندرج فروع وجزئيات متعددة. وقد ركز القرآن الكريم على هذه الأصول الاعتقادية؛ لأنها كانت أشد ما فاجأ العرب من الدين الجديد، وأشد ما آثار إنكارهم ورفضهم وتكذيبهم، فقد ظهر الرسول ﷺ بدعوته والعرب ممعنون في ماديتهم، بعيدا عن كل هذه المعاني الروحية والمسائل الغيبية التي يدعو إليها الإسلام.

ومن هنا كانت الدعوة إلى الإيمان بالغيب أول عنصر من عناصر الدعوة الإسلامية، ومن هنا –أيضا– كانت قضية البعث أهم قضية، شغلت أذهان العرب، وكذلك دعوة الإسلام إلى عبادة إله واحد كانت دعوة غريبة عليهم، وهم الذين عبدوا الآلهة المتعددة؛ لذا فقد عجبوا من عقيدة التوحيد، كما أنكروا أن يكون القرآن من عند الله.

ولذلك دارت أكثر أقسام القرآن حول هذه الأصول الاعتقادية الثلاثة:

ففي **سورة الصافات** نرى مثلا للقسم على الأصل الأول – التوحيد –. وفي **سورة يس** نرى مثلا للقسم على الأصل الثاني – الرسالة –.**وفي سورة الذاريات** نرى مثلا للقسم على الأصل الثالث – البعث.

ووراء هذه الأصول الثلاثة الكبرى، نرى فروعا كثيرة تتردد في الأقسام القرآنية:

كالقسم **في سورة الليل** على أن الجزاء يوم القيامة مرتبط بعمل الإنسان في الحياة، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى تحقيقا للعدل الإلهي.

وفي" **سورة الشمس**" نرى القسم يدور حول فكرة قريبة من الفكرة السابقة، وهي عن المنهج والطريق، فالله قد خلق الإنسان ورسم له طريق الخير والشر، وألهم نفسه الفجور والتقوى، فمن زكى نفسه وطهرها، فقد أفلح وفاز يوم القيامة، ومن حجب ما فيها من خير، وكشف عما فيها من شر، فقد خاب وخسر يوم القيامة.

وفي" **سورة الطارق**" يدور القسم حول فكرة أن الله لم يترك الإنسان في هذه الحياة سدي، وإنما خلقه وكلف ملائكته بحفظه ومراقبته وإحصاء أعماله، حتى يكون حسابه يوم القيامة بناء على صحيفة أعماله التي سجلت عليه في حياته.

وفي" **سورة العصر**" قسم على سبيل الفوز في الدنيا والآخرة هو الإيمان والعمل الصالح والأخذ بأسباب الحق والصبر.

وفي" **سورة المعارج**" نرى قسما على قدرة الله التي لا يقف دونها شيء.

وفي" **سورة النجم**" يقسم الله سبحانه على صدق الإسراء والمعراج، ردا على ما أثاره المشركون حوله من تكذيب للنبي ﷺ.

وهكذا تعددت مجالات القسم في القرآن الكريم، تعدد ما أدرك الله بعلمه وحكمته إنه في حاجة إلى القسم عليه، فكانت هذه الأصول الاعتقادية الثلاثة هي المجالات الأساسية، ووراءها مجالات فرعية كثيرة[1].

(١) ينظر: التبيان في أقسام القرآن لابن قيم الجوزية، ٧-١٠، ط/ دار الكتب العلمية.

المبحث الخامس: الظواهر الأسلوبية التي يتميز بها القسم في القرآن:

إذا تأملنا القسم في القرآن الكريم، فإننا نلحظ أنه يمتاز بظواهر أسلوبية مميزة، نتناولها في المطالب الآتية.

المطلب الأول: الظاهرة الأولى: حذف جواب القسم في بعض الآيات:

والظاهرة التي تلفت النظر هنا أن هذا الحذف لم يرد إلا في الآيات المكية، ولم يرد في أي آية مدنية. وأكثر ما يكون ذلك، إذا كان في المقسم به ما يدل على المقسم عليه، أو – بعبارة أخرى – إذا كان في لفظ القسم ما يدل على موضوعه، وذلك لأن المراد من القسم يفهم بذكر المقسم به، فيكون ذكر المقسم عليه لا ضرورة له، ويكون حذفه أوجز وأبلغ، ولذلك نلحظ أن حذف الجواب يكون في إحدى حالتين: في حالة ظهوره والعلم به، أو في حالة دلالة السياق عليه.

ففي قوله تعالى: **(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ)** [ص:١،٢]، جواب القسم محذوف؛ لأن في القسم ما يدل عليه، وهو وصف القرآن بأنه ذو الذكر، أو؛لأن السياق بعده يدل عليه، وهو وصف الكافرين بأنهم في عزة وشقاق، أي: في كبرياء الجاهلية الكاذبة، وخلافهم المتعصب مع المؤمنين بالدين الجديد. وعلى هذا يكون القسم على القرآن الكريم وصدقه، أو على أن الأمر ليس كما يقول كفار مكة من تعدد الآلهة.

وبعض المفسرين يرون أن جواب القسم هو قوله تعالى **(بل الذين كفروا في عزة وشقاق)** فكأن الله يقسم على ذلك. وقال كثيرون: إن تقدير الجواب: إن القرآن لحق وهذا يطرد في كل ما شابه ذلك كقوله: **(ق والقرآن المجيد)**، وقوله: **(لا أقسم بيوم القيامة)** فإنه يتضمن إثبات المعاد. وقوله: **(والفجر)** أنها أزمان تتضمن أفعالا معظمة من المناسك وشعائر الحج، التي هي عبودية محضة لله تعالى وذل وخضوع لعظمته، وفي ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

ويمكن أن نجد أمثلة كثيرة على ذلك: في سورة النازعات، والفجر، وغيرهما.

ويذهب ابن القيم مذهبا طريفا في تفسير هذه الظاهرة الأسلوبية، إذ يرى في كتابه"**التبيان في أقسام القرآن**"[(١)]، أن من بين آيات القرآن التي حذف جوابها، ما أريد به التنبيه على أهمية المقسم به دون أن يراد مقسم عليه بعينه، ولهذا يستغني عن ذكره؛ لأن هذا القسم في الحقيقة يتضمن الجواب المقسم عليه، وإن لم يذكر لفظا.

إن هذا الأسلوب من القسم القرآني إنما قصد به اللفت إلى المقسم به، بما يغني عن تأويل جواب محذوف أو غير محذوف، فلم يعد السياق في حاجة إلى تكملة أو جواب.

المطلب الثاني: الظاهرة الثانية: اقتران فعل القسم بلا النافية في بعض الآيات:

---

(١) ينظر: التبيان، لابن القيم، ص١٠.

وقد ورد ذلك في ثماني آيات كلها مكية، ولم يرد في أي آية مدنية، وهذا الأسلوب نادر في كلام العرب، حتى ليعد أسلوبا قرآنيا خالصا، وتردد هذا الأسلوب أيضا في حديث النبي ﷺ فقد كثر في إيمانه ﷺ ذلك القسم الرقيق"لا والذي نفسي بيده" أو"لا والذي نفس محمد بيده". ويذكر ابن القيم في كتابة"التبيان" أن أكثر يمين الرسول ﷺ "لا ومقلب القلوب".

والآيات الثماني التي ورد فيها هذا الأسلوب القرآني من القسم هي:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ الواقعة: ٧٥].

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) [الحاقة: ٣٨-٣٩].

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) [المعارج:٤٠].

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) [القيامة:١-٢].

(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥)) [التكوير:١٥].

(فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ) [الانشقاق:١٦].

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ) [البلد:١].

وفي آية مدنية واحدة وردت"لا" بغير فعل، جريا على أساليب العرب – وهو اقتران"لا" النافية بغير الفعل – وذلك في قوله تعالى:(**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [النساء:٦٥]. ويرى النحاة أن"لا" في هذه الآية نافية لفعل محذوف يدل عليه الفعل المذكور، تقديره"فلا يؤمنون وربك لا يؤمنون"، فأخبر أولا ثم أكد بالقسم بعد ذلك، فاستغنى بذكر الفعل بعد القسم عن ذكره قبله.

وقد اختلفت آراء العلماء في تفسير"لا" هذه وتعددت.

ويرى الشيخ محمد عبده في تفسيره لجزء عم أن"لا أقسم" عبارة من عبارات العرب في القسم ويراد بها تأكيد الخبر، كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم. وتعليل الأستاذ الإمام صحيح، إلا أنه أسلوب نادر في كلام العرب.

المطلب الثالث: الظاهرة الثالثة: اقتران القسم بأداة الزجر والردع"كلا"

وقد وردت كلا مقترنة بالقسم في خمس آيات كلها مكية وهي:

(كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) [المدثر:٣٢-٣٤].

(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) [العلق:١٥].

(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) [التكاثر: ٣-٤].

(كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ) [الهمزة:٤].

المطلب الرابع: الظاهرة الرابعة: ورود"إذا" بعد القسم الصريح:

وقد ورد ذلك في اثنتي عشرة آية كلها مكية، والذي يلفت النظر في هذه الظاهرة أن القسم في هذه الآيات كلها بمراحل الليل والنهار الزمنية.

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) [النجم:١].

(وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) [المدثر: ٣٤].

(وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) [التكوير:١٧- ١٨].

(وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) [الانشقاق: ١٨]. وغيرها كثير.

ويرى ابن هشام في كتابه"المغني" أن" إذا" في هذه الآيات ظرف للحال، وليس فيها معنى الشرطية، ولا تدل على الاستقبال، وربما كان الأقرب إلى سياق الآيات أن تكون للدلالة على استغراق الزمن[١]، وكأن الله يقسم بهذه الظواهر الطبيعية التي هي من آيات خلقه وقدرته ليلفت النظر إلى أنها متجددة دائما وستظل متجددة على امتداد الزمان كله حتى تقوم الساعة.

ووراء هذه الظواهر ظواهر أخرى كثيرة، وصل بها العلماء إلى اثنتين وعشرين ظاهرة، وأكثرها من الظواهر المألوفة في أساليب العرب في القسم.

---

[١]- قال ابن هشام: وَمن ذَلِك إِذا الَّتِي بعْدهَا الْقسم نَحْو {وَاللَّيْل إِذا يغشى} {والنجم إِذا هوى} إِذْ لَو كَانَت شَرْطِيَّة كَانَ مَا قبلهَا جَوَابا فِي الْمَعْنى كَمَا فِي قَوْلك آتِيك إِذا أتيتني فَيكون التَّقْدِير إِذا يغشى اللَّيْل وَإِذا هوى النَّجْم أَقْسَمت وَهَذَا مُمْتَنع لوَجْهَيْن:

أَحدهمَا: أَن الْقسم الإنشائي لَا يقبل التَّعْلِيق؛ لِأَن الْإِنْشَاء إِيقَاع وَالْمُعَلّق يحْتَمل الْوُقُوع وَعَدَمه فَأَما إِن جائني فوَاللَّه لأكرمنه، فَالْجَوَاب فِي الْمَعْنى فعل الْإِكْرَام؛ لِأَنَّهُ الْمُسَبّب عَن الشَّرْط وَإِنَّمَا دخل الْقسم بَينهمَا لمُجَرّد التوكيد وَلَا يُمكن ادِّعَاء مثل ذَلِك هُنَا؛ لِأَن جَوَاب وَاللَّيْل ثَابت دَائِما وَجَوَاب والنجم مَاض مُسْتَمر الانتفاء فَلَا يُمكن تسببهما عَن أَمر مُسْتَقْبل وَهُوَ فعل الشَّرْط.

وَالثَّانِي: أَن الْجَواب خبري فَلَا يدل عَلَيْهِ الْإِنْشَاء لتباين حقيقتهما. ينظر: مغني اللبيب لابن هشام ، ص١٣٦.

المطلب الخامس.

الظاهرة الخامسة: وهي ظاهرة طريفة تستحق الإشارة إليها، تتصل بأسلوب القرآن في استخدام حروف القسم"الواو والباء والتاء"، فقد وردت التاء مقترنة بلفظ الجلالة"الله" في الآيات المكية فقط، ولم ترد في الآيات المدنية، كقوله تعالى:(**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)** [الأنبياء:٥٧] في حين وردت الباء مقترنة به في الآيات المكية والمدنية على السواء، كقوله تعالى: **(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى)** [النحل:٣٨]، وقوله سبحانه:(**وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ)** [التوبة: ٤٢] أما الواو فلم ترد في الآيات المكية ولا الآيات المدنية مقترنة به، وإنما وردت مع لفظ الجلالة"الرب" مضافا إلى الضمير الذي يشير إلى النبي ﷺ، كقوله:(**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الحجر:٩٢]، أو مضافا إلى آياته الدالة على قدرته كقوله تعالى: **(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)** [الذاريات:٢٣]، ولكن أكثر ورودها في القسم بمظاهر الطبيعة أو في القسم بالقرآن نحو قوله تعالى:"**والعصر**" و"**الضحى**" و"**والليل**" و"**والفجر**""**وليال عشر**" و"**والسماء والطارق**" و"**كلا والقمر**"، وهكذا، ونحو قوله تعالى:(**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)** [ق: ١] **(حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ)** [الزخرف:١-٢]، وهكذا.

المطلب السادس

الظاهرة السادسة: من الظواهر الطريفة أيضا، أن مادة"حلف" لم ترد إلا في الآيات المدنية، ولم ترد في الآيات المكية إلا في آية واحدة هي قوله تعالى:(**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ)** [القلم: ١٠]. وفي كل مواضع ورودها جاءت في مقام الحنث باليمين، ومن هنا لم ترد مقترنة بالله تعالى.

أما مادة"قسم" فقد قصر ورودها على الآيات المكية، ولم ترد في الآيات المدنية. ولعل ذلك هو الذي جعل صاحبي لسان العرب والقاموس المحيط وغيرهما من علماء اللغة يذكرون أن الحلف معناه القسم، غير أن الحلف الذي ورد في القرآن الكريم لا يصح أن يكون مرادفا للقسم.

أسئلة للمناقشة

١) ما الفرق بين القسم الظاهر والمضمر؟
٢) اذكر صور القسم المضمر.
٣) ما السبب في انتشار القسم في المرحلة المكية؟
٤) القسم لا يكون إلا بمعظّم، فكيف أقسم الله بمخلوقاته؟
٥) لم أقسم الله بالنبي ﷺ؟
٦) بم يقسم الله.
٧) اذكر موضعين من المواضع التي أقسم الله فيها بذاته.
٨) عدد المواضع التي أقسم الله فيها بالقرآن الكريم؟
٩) بأي شيء أقسم الله تعالى في هذه الآية:(**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**) [الحجر:٧٢].
١٠) اذكر موضعًا أقسم الله فيه بأحد مظاهر الطبيعة وعلة ذلك .
١١) ما الظواهر الأسلوبية التي يتميز بها القسم في القرآن؟
١٢) اختلفت آراء العلماء في تفسير"لا" في قوله تعالى:(**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**) [القيامة:١-٢]، وضح ذلك.

الفصل العاشر: المطلق والمقيد[1].

المطلب الأول : تعريفهما:

المُطلقُ: هو اللَّفظُ الدَّالُّ على فردٍ غيرِ مُعيَّنٍ، أو أفرادٍ غيرِ مُعيَّنينَ.

مثلُ: (رجل) لفردٍ غير مُحدَّدٍ، و(رجال) لأفرادٍ غيرِ مُحدَّدينَ.

والمقيَّدُ: هوَ اللَّفظُ االدَّالُّ على فردٍ غيرِ مُعيَّنٍ، أو أفرادٍ غيرِ مُعيَّنينَ مع اقترَانِه بصفةٍ تُحدِّدُ المُرادُ بهِ.

مثلُ (رجلٌ بصريٌّ)، و (رِجالٌ صالحونَ).

المطلب الثاني: دلالة المطلق والمقيد:

*** أولا : دلالة المطلق: اللَّفظُ المُطلقُ باقٍ على إطلاقِهِ حتَّى يردَ دليلُ التَّقييدِ.**

الأمثلة:

١. قوله تعالى في كفَّارة الظِّهارِ: { **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** } [المجادلة: ٣].

لفظُ { رَقَبَةٍ } مطلقٌ من أيِّ قيدٍ، فلو أعتقَ المُظاهرُ رقبةً على أيِّ وصفٍ أجزأهُ مؤمِنةً كانتْ أو كافرَةً، خلافًا للشَّافعيَّةِ والمالكيَّةِ .

٢. قوله تعالى في أحكامِ المواريث: { **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ** } [النساء: ١١]، فلفظ { وَصِيَّةٍ } مُطلقٌ وردَ الدَّليلُ من السُّنَّةِ بتقييدِه بالثُّلثِ، كما في حديث سعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعودُنِي عامَ حجَّة الودَاعِ من وَجَعٍ اشتدَّ بي، فقلتُ: إنِّي قدْ بلغَ بِي من الوَجعِ وأنا ذُو مالٍ، ولا يرثُني إلاَّ ابنةٌ، أفأتصدَّقُ بثُلثي مالي؟ قالَ: (لا) فقلتُ بالشَّطرِ؟ فقالَ: (لا) ، ثم قالَ: (**الثُّلُثُ والثُّلثُ كبيرٌ (أو كثيرٌ)، إنَّك أن تذرَ ورثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرهُم عالةً يتكفَّفُون النَّاسَ**[2]).

- **ثانيا : دلالة المقيد: يجبُ العملُ بالقيدِ إلاَّ إذا قامَ دليلٌ على إلغائِهِ.**

الأمثلة:

---

[1] – ينظر: شرح الكوكب المنير (٣/ ٣٩٢)، المحصول (٢/ ٥٢١)، الإحكام للآمدي (٣/ ٣)، كشف الأسرار (٢/ ٢٨٦)، حاشية البناني على جمع الجوامع (٢/ ٤٤)، فواتح الرحموت (١/ ٣٦٠)، شرح تنقيح الفصول ص ٢٦٦، إرشاد الفحول ص ١٦٤، أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي (١/ ٢٠٨).

[2] – الحديث متفقٌ عليه.

١. قوله تعالى في كفَّارةِ الظِّهار: { **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** } [المجادلة: ٤]، فقولُه: { مُتَتَابِعَيْنِ } قيدٌ يجبُ إعمالُه، فلا تُجزيءُ الكفَّارَةُ لو صامَ شهرينِ مُقطَّعينِ.

٢. وقوله تعالى: { **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نسائكم اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ** } [النساء: ٢٣]، فقولُهُ: { فِي حُجُورِكُمْ } قيدٌ لكنَّهُ لا أثرَ لهُ وإنَّما خرجَ مخرجَ الغالبِ، لأنَّ بنتَ الزَّوجَةِ تكُونُ غالبًا مع أُمِّهَا، على هذا جمهُورُ العلماءِ أنَّ بنتَ الزَّوجةِ المدخولِ بها محرَّمةٌ بمجرَّدِ الدُّخولِ بأُمِّهَا كانتْ في بيتِ الزَّوجِ وتحتَ رِعايَتِهِ أو كانتْ في موضعٍ بعيدٍ لا شأْنَ لهُ بهَا، لكنْ ذهبَ أميرُ المؤمنينَ عليٌّ رضي الله عنه إلى إعمالِ هذا القيدِ بناءً على الأصلِ، وتابعَهُ على قولهِ الظَّاهريَّةُ.

فعنْ مالكِ بن أوسٍ بنِ الحدثانِ قالَ: كانتْ عندي امرأةٌ فتُوُفِّيتْ، وقد ولدَتْ لي، فوجدْتُ عليها، فلقيَنِي عليُّ بنُ أبي طالبٍ فقالَ: مالكَ؟ فقلتُ: تُوُفِّيتِ المرأةُ، فقالَ عليٌّ: لهَا ابنةٌ؟ قلتُ: نعمْ، وهيَ بالطَّائفِ، قالَ: كانتْ في حُجرِكَ؟ قلتُ: لاَ، هيَ بالطَّائفِ، قالَ: فانكِحهَا، قلتُ: فأينَ قولُ الله: { **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ** } قال: إنَّها لم تكُن في حُجرِكَ، إنَّما ذلكَ إذا كانتْ في حُجرِكَ[١] .

***المطلب الثالث: متى يُحمل المطلق على المقيد؟**

– إذا ورد نصان أحدهما مطلق، والثاني مقيد، فاتفق العلماء على جواز حمل المطلق على المقيد في حالات، ومنعه في حالات، ولكن عند حمل المطلق على المقيد اختلفوا في صوره وشروطه.

– إذا وردَ القيدُ مُقترنًا باللَّفظِ، فالقاعِدَةُ : وُجوبُ إعمالِ القيدِ، ولكنْ إذا جاءَ القيدُ منفصلاً عن الإطلاقِ، بأنْ يجيءَ هذا في نصٍّ، وهذا في نصٍّ آخرَ، فلهُ أربعُ حالاتٍ:

١. إذا اتَّحد في الحُكمِ والسَّببِ، فيجبُ حملُ المُطلقِ على المقيَّدِ.

مثالهُ: قوله تعالى: { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ** } [المائدة: ٣]، مع قولِهِ: { **قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ** } [الأنعام: ١٤٥]، فالسبب واحد وهو وجود الضرر في الدم، والحكم متحد، وهو حرمة تناول الدم، والنص الأول مطلق "**والدم**" والنص الثاني مقيد "**دمًا مسفوحًا**" فيحمل المطلق على

---

[١] – أخرجه ابن أبي حاتمٍ كما في (تفسير ابن كثير) ٥١٣/١ بإسنادٍ صحيحٍ.

المقيد، ويكون الدم المحرم هو المسفوح، أما الباقي في العروق واللحم فهو مباح معفو عنه، وكذلك الدم الجامد وهو الكبد والطحال فهما حلالان.

ومثال آخر: قوله تعالى في التيمم: {فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} [المائدة: ٦]، وفي آية أخرى في التيمم: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ} [النساء: ٤٣]، فالسبب واحد وهو إرادة الصلاة، والحكم واحد وهو وجوب المسح، والآية الأولى فيها إطلاق للممسوح به وهو التراب مطلقًا (طاهرًا أو نجسًا)، والآية الثانية مقيدة بالصعيد الطيب (أي التراب الطاهر) فيحمل المطلق على المقيد، ويجب مسح الوجه والكفين بالتراب الطاهر، لا النجس[١].

٢. إذا اختلفَا في الحُكمِ والسَّببِ، فلا يُحملُ المُطلقُ على المقيَّدِ.

مثالُهُ: قوله تعالى: { **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** } [المائدة: ٣٨] مع قولهِ:**{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** } [المائدة: ٦]، فلفظُ (الأيدي) مُطلقٌ في الآيةِ الأولى، ومقيَّدٌ في الآية الثانية، لكنَّ حُكمَ الأولى وجوبُ قطعِ الأيدي، وسببهَا السَّرقةُ، وحُكمَ الثَّانيَةِ وجوبُ غسلِ الأيدي، وسبَبَهَا القيامُ إلى الصَّلاةِ. فعلاقَةُ التَّأثيرِ منعدِمَةٌ بينَ الحُكمينِ، فلا يصحُّ حملُ المُطلقِ على المقيَّدِ.

ولِذا رُوِي في السُّنَّةِ تقييدُ القَطعِ بالكفِّ إلى الرُّسغِ، وهذا وإن كانَ النَّقلُ بخُصوصِهِ لا يثبتُ بهِ إسنادٌ، لكنَّهُ لم يُنقلُ غيرُهُ والرِّوايةُ فيه ليستْ بساقِطَةٍ، وهو المرويُّ فِعلُهُ عنِ أصحابِ النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم –، وقدِ اعتضَدَ بأصلٍ شرعيٍّ ، ذلكَ أنَّ لفظ (اليد) يُرادُ به الكفُّ، كما يُرادُ به إلى المِرفقِ، كما يُرادُ به إلى المنكِبِ، والحدُّ يسقُطُ بالشُّبهَةِ، كما لا يُتجاوزُ بهِ قدْرُ اليقينِ، واليقينُ ههُنا بقطْعِ أدنى ما يُسمَّى يدًا، وبهِ يتحقَّقُ المقصودُ.

ومثال آخر: قوله تعالى في كفارة القتل الخطأ: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} [النساء: ٩٢]، وقوله تعالى في كفارة اليمين: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ} [المائدة: ٨٩]، فالسبب مختلف، وهو القتل، والحنث في اليمين، والحكم مختلف: شهرين، ثلاثة أيام، وورد الصيام الأول مقيدًا بالتتابع، والثاني مطلقًا عن التتابع، فلا يحمل المطلق على المقيد، إلا أن الحنفية اشترطوا التتابع في صيام كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود الشاذة: **{فصيام ثلاثة أيام متتابعات}.**

٣. إذا اختلفَا في الحُكمِ واتَّحدَا في السَّببِ، فلا يُحملُ المُطلقُ على المقيَّدِ.

مثالُهُ قولهُ تعالَى: { **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ** } [المائدة: ٦]، مع قولِهِ قبل ذلكَ في الآية: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا**

[١] – ينظر: أصول الفقه الإسلامي، الزحيلي (١/ ٢١٣).

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ } فلفظُ (الأيدي)، في الموضعِ الأوَّل مُطلقٌ، وفي الثَّاني مقيَّدٌ (إلى المرافقِ)، السَّببُ مُتَّحدٌ في النَّصَّينِ، فكلاهُمَا في القيامِ إلى الصَّلاةِ لكنَّ الحُكم مختلفٌ ففي الأوَّل وجوبُ التَّيمُّمِ للصَّلاةِ عندَ فقدِ الماءِ، وفي الثَّاني وجوبُ الوُضوءِ.

فلا يصحُّ في هذه الحالةِ أن يُقالَ: تُمسحُ الأيدِي في التَّيمُّمِ إلى المرافقِ، حملاً للمُطلقِ في نصِّ التَّيمُّمِ على المقيَّدِ في نصِّ الوُضوءِ.

ولذَا جاءَت السُّنَّةُ بعَدمِ اعتبارِهَا هذا القيدِ في التَّيمُّمِ خلافًا للحنفيَّةِ والشَّافعيَّة ومن وافقهُم، وذلكَ قوله – صلى الله عليه وسلم – لعمَّارِ بن ياسرٍ: **(إنَّما كان يكفيكَ أن تضربَ بيدَيكَ الأرضَ، ثمَّ تَنفُخَ، ثمَّ تمسحَ بهمَا وجهَكَ وكفَّيكَ**[1]) وهو قولُ عليِّ بن أبي طالبٍ، وجماعةٍ من التَّابعينَ ومذهبُ أحمدَ بنِ حنبلٍ وكثيرٍ من أهلِ الحديثِ، وما رُويَ من الأحاديثِ في أنَّ التَّيمُّمَ إلى المِرفقينِ، فلا يثبُتُ منهُ شيءٌ من قِبلِ الرِّوايةِ.

٤. إذا اتَّحدَ في الحُكمِ واختلفَا في السَّببِ، فلا يُحملُ المُطلقُ على المقيَّدِ.

مثالُه قوله تعالى في كفَّارةِ الظِّهارِ: { **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** } [المجادلة: ٣]، مع قولهِ في كفَّارةِ قتلِ الخطأ: { **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ** } [النساء: ٩٢]، فلفظُ (رقبَة) في الآية الأولى مُطلقٌ، وفي الثَّانية مقيَّدٌ بالإيمانِ، الحُكمُ واحدٌ هو: الكفَّارةُ، والسَّببُ مُختلفٌ، فالأولى الظِّهارُ، والثَّانيةُ القتلُ.

فلا يصحُّ في هذا الحالةِ حملُ المُطلقِ على المقيَّدِ عندَ الحنفيَّةِ ومن وافقهُم خلافًا للشَّافعيَّةِ، يؤيِّدُ ذلك في المثالِ المذكورِ أنَّ الكفَّارةَ عقوبةٌ شُرعتْ لعلَّةٍ، ولكلِّ حُكمٍ علَّتُهُ المُناسبَةُ لهُ، قدْ تظهرُ وقدْ تخفَى، ولعلَّ المقامَ هُنا أنْ شُدِّدَ في كفَّارةِ القتلِ لشدَّةِ أمرِهِ بخلافِ الظِّهارِ، والقيدُ في هذا الحُكمِ تشديدٌ كما لا يخفى، واللهُ تعالى رحيمٌ بعبادِهِ، فحيثُ لم يُشدِّد فلا يُقالُ: أرادَ هُنا التَّشديدَ لكونِه شدَّدَ في حُكمٍ آخرَ ماثلَ هذا الحُكمَ في مُسمَّاهُ، فتلكَ زيادَةٌ في الشَّرعِ ومشقَّةٌ على الأمَّةِ[2].

---

[1] – متفقٌ عليه.

[2] – ينظر: في حمل المطلق على المقيد وعدمه في الحالات والصور السابقة في: المحصول (٢/ ٢١٤)، الإحكام للآمدي (٣/ ٤)، المستصفى للغزالي (٢/ ١٨٥)، البناني على جمع الجوامع (٢/ ٥٧)، كشف الأسرار (٢/ ٢٨٧)، المعتمد أبو الحسين البَصْري المعتزلي (١/ ٣١٢)، شرح الكوكب المنير للفتوحي (٣/ ٣٩٥)، العدة لأبي يعلى (٢/ ٦٣٦)، روضة الناظر، ابن القيم ص ٣٦٦، إرشاد الفحول للشوكاني ص ١٦٦، شرح تنقيح الفصول للقرافي ص ٢٦٩، علم أصول الفقه، خلاف ص ١٩٢.

الفصل الحادي عشر: فواتح وخواتيم السور، والمناسبات

المبحث الأول: فواتح السور:

قال السيوطي[1]: قال أهل البيان، من البلاغة **حسن الابتداء**، وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررًا، أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه. ولوكان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظ وأجزله، وأرقه وأسلسه، وأحسنه نظما وسبكا، وأصحه معنى وأوضحه، وأحلاه من التعقيد، والتقديم والتأخير المناسب أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقت أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن: نوع أخص منه، يسمى **براعة الاستهلال**، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سبق الكلام لأجله. والعلم الأسنى في ذلك"سورة الفاتحة" التي هي مطلع القرآن، فإنها مشتملة على جميع مقاصده، كما روى البيهقي عن الحسن قال: أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والانجيل والزبور :الفرقان، ثم أودع علوم القرآن: المفصل، ثم أودع علوم المفصل: فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها، كان كمن علم جميع علم تفسير جميع الكتب المنزلة.

وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة:

١- **علم الأصول** ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته، وإليه الإشارة بـ :(**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) [الفاتحة:٢-٣]، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ :(**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**) [الفاتحة:٧]، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ:(**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) [الفاتحة:٤].

٢- **وعلم العبادات** وإليه الإشارة بـ :(**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**) [الفاتحة:٥] .

٣- **وعلم السلوك** وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الاشارة: (**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**) [الفاتحة:٦].

٤- **علم القصص** والاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الاشارة بقوله:(**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**) [الفاتحة:٧]، فنبه في الفاتحة على جميع

---

(١) الإتقان، للسيوطي، النوع الستون، ١٠٦/٢ .

مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة.

ولقد افتتح الله سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها:

أولاً: الثناء عليه تعالى ويشمل:

أ- التحميد[٥ سور] هي: الفاتحة – الأنعام – الكهف – سبأ – فاطر.

ب-تبارك [سورتان] وهما: الفرقان- الملك.

ج- التسبيح [٧ سور] وهي: الإسراء -الحديد – الحشر -الصف -الجمعة -التغابن – الأعلى.

ثانيًا: حروف التهجي وتشمل [٢٩ سورة] هي: البقرة – آل عمران – الأعراف – يونس – هود – يوسف – الرعد – إبراهيم – الحجر – مريم – الشعراء – النمل – القصص – العنكبوت – الروم – لقمان – السجدة – ص – غافر – فصلت – الشورى – الزخرف – الدخان – الجاثية – الأحقاف – ق – ن – بالإضافة الى يس – طه.

ثالثًا: النداء وتشمل [١٠ سور] منها:

[٥ سور] بنداء الرسول ﷺ وهي: الأحزاب – الطلاق – التحريم – المزمل – المدثر.

[٥ سور] بنداء الأمة الإسلامية وهي: النساء – المائدة – الحج – الحجرات – الممتحنة.

رابعًا: الجمل الخبرية وتشمل [٢١ سورة] هي: الأنفال – براءة – النحل – الأنبياء – المؤمنون – النور – الزمر – محمد – الفتح – القمر – الرحمن – المجادلة – الحاقة – المعارج – نوح – عبس – القدر – البينة – القارعة – التكاثر – الكوثر.

خامسًا: القسم ويشمل [١٧ سورة] هي: الصافات – الذاريات – الطور – النجم – المرسلات – النازعات – البروج – الطارق – الفجر – الشمس – الليل – الضحى – التين – العاديات – العصر. إضافة إلى القيامة – البلد.

سادسًا: الشرط يشمل [٧ سور]هي: الواقعة – المنافقون – التكوير – الانفطار – الانشقاق – الزلزلة – النصر.

سابعًا: الأمر ويشمل [٦ سور] هي: الجن – اقرأ – الكافرون – الصمد – الفلق – الناس.

ثامنًا: الاستفهام ويشمل [٦ سور] هي: الإنسان – عم – الغاشية – الشرح – الفيل – الماعون.

تاسعًا: الدعاء ويشمل [٣ سور] هي: المطففين – الهمزة – المسد.

عاشرًا: التعليل ويشمل سورة واحدة هي: قريش.

المبحث الثاني: خواتم السور:

هي أيضا مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة من إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى ما يذكر بعد؛ لأنها بين أدعيه ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ، ووعد ووعيد إلي غير ذلك، كتفصيل **جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة**، إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله **[الذين أنعمت عليهم]** والمراد: المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده، ليتناول كل إنعام؛ لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان، فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأنها مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله **[غير المغضوب عليهم ولا الضالين]** يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة، وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده.

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

وكالوصايا التي ختمت بها سوره آل عمران:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آل عمران:٢٠٠] ، **والفرائض التي ختمت بها سوره النساء،** وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي، ولأنها آخر ما نزل من الأحكام. وكالتبجيل والتعظيم **الذي ختمت به المائدة.**

وكالوعد والوعيد **الذي ختمت الأنعام،** وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي **ختمت به الأعراف،** وكالحض على الجهاد وصلة الأرحام الذي **ختمت به الأنفال.**

وكوصف الرسول ومدحه، **والتهليل الذي ختمت به براءة،** وتسليته عليه الصلاة والسلام في **خاتمة يونس وهود،** ووصف القرآن ومدحه الذي **ختمت به يوسف،** والوعيد والرد على من كذب الرسول الذي **ختمت به الرعد.**

ومن أوضح ما آذن بالختام **خاتمة إبراهيم:(هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ)** [إبراهيم: ٥٢]، ومثلها خاتمة الأحقاف، وكذا **خاتمة الحجر بقوله:(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)** [الحجر: ٩٩].

وانظر إلى سورة الزلزلة، كيف بدأت بأهوال القيامة وختمت بقوله تعالى:**(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)**([الزلزلة:٧ – ٨) ، وانظر إلى براعة آخر آية نزلت، وهي قوله تعالى:**(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)** [البقرة: ٢٨١]، وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة، وكذا آخر سورة نزلت، وهي سورة" النصر" وفيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخاري من طريق سعيد بن جبير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

سَأَلَهُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:(**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**)[النصر:١]، قَالُوا: فَتْحُ الْمَدَائِنِ وَالْقُصُورِ، قَالَ: مَا تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: أَجَلٌ، أَوْ مَثَلٌ ضُرِبَ لِمُحَمَّد ﷺ، نُعِيَتْ لَهُ نَفْسُهُ[١].

المبحث الثالث: المناسبات بين الآيات والسور:

إن معرفة المناسبة بين الآيات تساعد على حسن التأويل، ودقة الفهم، ولذا أفرد بعض العلماء هذا المبحث بالتصنيف[٢].

المطلب الأول: تعريف الماسبة :

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة[٣]، يقال فلان يناسب فلانًا، أي: يقرب منه ويشاكله منه المناسبة في العلة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم[٤]

وفي الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها[٥].

والمراد بالمناسبة هنا: وجه الارتباط بين الجملة في الآية الواحدة –أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة. والرابط: عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني[٦].

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات: [٧]

١ . يعد علم المناسبات من أشرف العلوم العظيمة؛ لأنه يتعلق بكتابِ الله تعالى فهو علم دقيق يحتاج إلى فهم واضح لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه، وتذوق لنظمه، ولبيانهِ المعجز.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ١٧٩/٦، ح٤٩٦٩.

(٢) ممن صنف فيه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي النحوي (ت٨٠٧هـ) في كتاب سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن" وللشيخ برهان الدين البقاعي كتاب في هذا سماه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" .وينظر هذا المبحث " البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٥/١.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٣٢٤/٥ والصحاح، للجوهري ٤٢٢/١ .

(٤) أصول الفقه لأبي زهرة، ص٢٤١ ط دار الفكر العربي.

(٥) مباحث في التفسير الموضوعي :الدكتور مصطفى مسلم، ص ٥٨، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م .

(٦) ينظر: الإتقان، للسيوطي، ١٣٩/٢.

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/١ البرهان في علوم القرآن، الزركشي،١ / ٦٢، مباحث في التفسير الموضوعي، لمسلم،ص ٥٨ .

٢ . يبين مدى ارتباط الكلام بعضه ببعض.

٣ –تكميل المقصود من كل سورة وفهم المراد من القرآن

٤ – يعين على فَهمِ معنى الآيات القرآنية وتحديد المراد منها

٥ –معرفة المناسبة مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه:

٦ –إظهار أسرار الإعجاز القرآني والكشف عن كنوزه:

قال الزركشي:"وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف، حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[١].

تتوقف معرفة المناسبات والربط بين الآيات على، اجتهاد المفسر، ومعرفته بإعجاز القرآن، وأسراره البلاغية.

ولا يعني أن يُلتمس لكل آية مناسبة، فإنّ القرآن الكريم نزل منجمًا حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركها، فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافًا، وإلا كانت تكلفًا ممقوتًا.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٢]:"المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدها بالآخر".

ثم قال:" ومن ربط بين ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك، يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يأتي ربط بعضه ببعض[٣].

المطلب الثالث: عناية المفسرين بعلم المناسبة

وقد عنى بعض المفسرين ببيان المناسبة بين الجمل، أو بين الآيات، أو بين السور[٤] واستنبطوا وجوه ارتباط دقيقة.

فالجملة قد تكون تأكيدًا لما قبلها، أو بيانًا، أو تفسيرًا أو اعتراضًا تذييليًا – ولهذا أمثلته كثيرة.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٣٦.

(٢) الملقب بسلطان العلماء، توفي سنة ٦٦٠هـ، . طبقات الشافعية، السبكي، ٥/٨٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٣٧ .

(٤) وجه الارتباط بين السور مبني على أن ترتيب السور توقيفي، وقد اختلف العلماء في ذلك، وسبق عرضها في الفصل الرابع.

وللآية تعلقها بما قبلها على وجه من وجوه الارتباط يجمع بينهما، كالمقابلة بين صفات المؤمنين وصفات المشركين، ووعد هؤلاء ووعيد أولئك، وذكر آيات الرحمة بعد آيات العذاب، وآيات الترغيب بعد آيات الترهيب، وآيات التوحيد والتنزيه بعد الآيات الكونية، وهكذا...

المبحث الرابع: أنواع المناسبات.

المطلب الأول: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

وقد تكون المناسبة بين السورة والسورة، كافتتاح سورة"الأنعام" بالحمد:(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)** [الأنعام: ١] فإنه مناسب لختم سورة المائدة في الفصل بين العباد ومجازاتهم :**(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [المائدة: ١١٨-١٢٠]. إلى آخر السورة.

وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح:(**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** [الحديد: ١] فإنه مناسب لختام سورة الواقعة في الأمر به ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٩٦] وكارتباط سورة:(**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ)** بسورة "الفيل" فإن هلاك أصحاب الفيل كانت عاقبة تمكين قريش من رحلتيها شتاء وصيفًا، حتى قال أخفش، اتصالها بها من باب قوله تعالى:**(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)** [القصص: ٨].

المطلب الثاني: المناسبة بين فواتح السور وخواتمها:

وقد تكون المناسبة بين فواتح السور وخواتمها... ومن ذلك ما في سورة"القصص" فقد بدأت بقصة موسى، وبيان مبدأ أمره ونصره، ثم ما كان منه عندما وجد رجلين يقتتلان وحكي الله دعاءه :**(قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ)** [القصص: ١٧] ثم ختم الله السورة بتسلية رسولنا ﷺ لخروجه من مكة والوعد بعودته إليها، وينهيه عن أن يكون ظهيرًا للكافرين:(**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ)** [القصص: ٨٥-٨٦].

المطلب الثالث: مناسبةُ الآية لما قبلها ولما بعدها:

مثال ذلك قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** {الفاتحة:٥ } فإنَّه لمّا ذكر في أوّل استحقاق الله تعالى لكلّ المحامد، وكونه رباً للعالمين، وهو الرحمن الرحيم، وهو مع كلّ هذا، الملك

المتصرف في اليوم الَّذي لا ملْك فيه لأحد إلا لله. كان من شأن كلّ عاقلٍ أن يُقبِل على من هذه صفاته وتلك عظمته، معترِفًا بالعبودية له، والذُّل الكامل لجنابه العظيم، ملتجئًا إليه، طالبًا منه العون والمدد، ثم إنَّه لما حمد وأثنى، ومجد، واعترف بالعبودية، ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان، فيقول **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** [الفاتحة: ٦] [(١)].

المطلب الرابع: المناسبةُ بين الآية وفاصلتها:

مثال ذلك قوله تعالى:(**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [المائدة :٣٨]، وتتضح مناسبة فاصلة هذه الآية لمضمونها فيما يأتي فقد روي أنّ بعض الأعراب سمع قارئاً يقرأ: والسارق والسارقة إلى آخرها وختمها بقوله: والله غفور رحيم فقال: ما هذا كلام فصيح، فقيل له: ليس التلاوة كذلك، وإنما هي والله عزيز حكيم فقال: بخ بخ،عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع[(٢)].

المطلب الخامس: وقد تكون المناسبة في مراعاة حال المخاطبين.

كقوله تعالى:**(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)** [الغاشية: ١٧-٢٠] فجمع بين الإبل والسماء والجبال، مراعاة لما يجري عليه الإلف والعادة بالنسبة إلى المخاطبين في البادية، حيث يعتمدون في معايشهم على الإبل، فتنصرف عنايتهم إليها، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بالماء الذي ينبت المرعى وترده الإبل، وهكذا يكون بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يتحصنون به ولا شيء أمنع كالجبال، وهم يطلبون الكلأ والماء فيرحلون من أرض ويهبطون أخرى، ويتنقلون من مرعى أجدب إلى مرعى أخصب، فإذا سمع أهل البادية هذه الآيات، خالطت شغاف قلوبهم بما هو حاضر لا يغيب عن أذهانهم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر، ١٧/١.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ٢٥٥/٤، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٨٧/٣ .

أسئلة للمناقشة

١) قال أهل البيان: (من البلاغة حسن الابتداء)، اشرح هذه العبارة.

٢) ما المراد من براعة الاستهلال؟

٣) استخرج من الآيات الآتية العلوم التي احتوى عليها القرآن الكريم وبها قامت الأديان:

- **(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** [الفاتحة:٢-٣].
- **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** [الفاتحة:٥] .
- **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** [الفاتحة: ٦].
- **(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)** [الفاتحة:٧].

٤) اذكر السور التي افتتحت بالتحميد، والسور التي افتتحت بالتسبيح.

٥) ما السور التي افتتحت بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

٦) عرّف المناسبة في اللغة والاصطلاح .

٧) بيّن أهمية علم المناسبات .

٨) كان للمفسرين عناية كبيرة بعلم المناسبات، دلل على ذلك.

٩) بيّن المناسبة بين سورة الواقعة وسورة الحديد.

١٠) اذكر آية من القرآن الكريم، ثم بيّن المناسبة بينها وبين فاصلتها.

الفصل الثاني عشر: إعجاز القرآن الكريم.

تمهيـد:

قد جرت حكمة الله الأزلية، أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات الباهرات، والدلائل الواضحات، والحجج والبراهين الدامغة، التي تدل على صدقهم، وعلى أنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير.

وقد خص الله تبارك وتعالى: نبينا محمدًا ﷺ بالمعجزة العظمى (القرآن الكريم)، ذلك النور الرباني، والوحي السماوي الذي ألقاه على قلب نبيه، قرآناً عربياً غير ذي عوج، يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، والذي أحيا به أجيالاً من العدم، كانت في عداد الموتى، فأحياها الله بنور هذا القرآن، وهداها أقوم طريق، فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله حيث يقول:(**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [الأنعام: ١٢٢].

ولئن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجزات"حسية"، تتناسب مع العصر والزمان، الذي بعثوا فيهما، كمعجزة (موسى) عليه السلام، حيث كانت (اليد والعصا)؛ لأنه بعث في زمن كثر فيه السحرة، واشتهر فيه السحر، وكذلك معجزة (عيسى) عليه السلام، حيث كانت بإحياء الموتى، وإبراء الأكْمَه[١]. والأبرص، والإخبار عن بعض المغيبات؛ لأنه بعث في عصر، كثر فيه الطب والحكمة، وظهر فيه الأطباء البارعون، فأتاهم عيسى بن مريم عليه السلام، بما أدهشهم وأعجزهم من شفاء المرضى، وإحياء الموتى وإبراء العمي والبكم والصم[٢].

أقول: إذا كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات (مادية حسية) [٣]، فإن معجزة محمد بن عبدالله معجزة (روحية عقلية) وقد خصه الله بالقرآن، معجزة العقل الباقي على الزمان، ليراها ذوو القلوب والبصائر فيستنيروا بضيائها وينتفعوا بهديها في المستقبل والحاضر، فقد ورد عن سيد المرسلين أنه قال:" ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا، أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"[٤].

---

(١) أي: الأعمى، قال تعالى: (وأبرئ الأكمه والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله)[آل عمران: ٤٩].

(٢) ينظر في الحديث عن بعض معجزات النبي، ﷺ: جامع البيان للطبري،٥١/١٢،تفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٧، صحيح البخاري، باب: انشقاق القمر، ح ٣٦٥٦، فتح الباري، لابن حجر،، لابن حجر، ٤١/٩، في قوله تعالى: (**اقتربت الساعة وانشق القمر**)، والترمذي، باب: مناقب أبي هريرة، ح ٤٠٠٣، وقال: حسن غريب (تكثير التمر لأبي هريرة) وغيرها .

(٣) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص٢٢، فكرة إعجاز القرآن، نعيم الحمصي، ص١٣.

(٤) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، ١٨٢/٦، ح٤٦٩٦ .

المبحث الأول: تعريف الإعجاز وإثباته.

المطلب الأول : تعريف الإعجاز:

الإعجاز: إثبات العجز، والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز، ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: **إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة – وهي القرآن –وعجز الأجيال بعدهم**(١).

والمعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، دال على صدق مدعى النبوة. وسميت معجزة؛ لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها(٢).

وهناك فرق بين الكرامة والمعجزة، فالكرامة هي: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه، معونة له على أمر ديني أو دنيوي(٣)، وتكون على يد بعض الصالحين، من الملتزمين بأحكام الشريعة إكراما لهم من الله عز وجل، ولا عصمة لصاحب الكرامة(٤).

والقرآن الكريم تحدى به النبي ﷺ العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزا.

فقد ثبت أن الرسول ﷺ تحدى العرب بالقرآن على ثلاث مراحل:

أ- تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديا، يظهر على طاقتهم مجتمعين، بقوله تعالى:(**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)[الإسراء: ٨٨].

ب- ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: **(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)** [هود: ١٣- ١٤].

ج-ثم تحداهم بسورة واحدة منه في قوله تعالى(**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** [يونس: ٣٨].

وعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر الدواعي، عجز للغة العربية في ريعان شبابها وعنفوان قوتها.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٢٣٢، لسان العرب، لابن منظور،، ابن منظور،٣٦٩/٥ .

(٢) ينظر: الإتقان، للسيوطي، ١١٦/٢.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية،٣٤٩/١.

(٤) ينظر: مقدمة في إعجاز القرآن، د.مروان وحيد شعبان، ص٣٩.

والإعجاز لسائر الأمم على مرّ العصور، ظل ولا يزال في موقف التحدي شامخ الأنف، فأسرار الكون التي يكشف عنها العالم الحديث، ما هي إلا مظاهر للحقائق العليا التي ينطوي عليها سر هذا الوجود في خالقه ومدبره، وهو ما أجمله القرآن، أو أشار إليه_ فصار القرآن بهذا معجزا للإنسانية كافة.

والإعجاز لا يتحقق إلا إذا توافرت أمور ثلاثة:

أ- الأول: التحدي، أي: (طلب المباراة والمعارضة).

ب- الثاني: أن يكون الدافع إلى رد التحدي قائما.

ج- الثالث: أن يكون المانع منتفيا.

المطلب الثاني: أنواع التحدي[1]:

والتحدي الذي جاء في القرآن الكريم كان على نوعين:

١. التحدي العام.

٢. التحدي الخاص.

أما الأول: فقد ورد لجميع الخلائق بما فيهم الفلاسفة، والعباقرة، والعلماء، والحكماء، وجاء لجميع البشر دون استثناء، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى :(**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)[[الإسراء: ٨٨].

أما الثاني: (التحدي الخاص) فقد جاء للعرب خاصة، وعلى الأخص منهم -كفار قريش- وقد ورد هذا التحدي على نوعين أيضا:

١. **تحدي كلي:** وهو التحدي بجميع القرآن، في أحكامه، وروعته، وبلاغته، وبيانه.

٢. **تحدي جزئي:** وهو التحدي بمثل سورة من سور القرآن الكريم، ولو من أقصر سورة كسورة الكوثر.

المبحث الثاني: شروط المعجزة الإلهية.

وللمعجزة شرائط خمسة، نبه عليها العلماء، فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

١. **الشرط الأول:** أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

٢. **الشرط الثاني:** أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية.

٣. **الشرط الثالث:** أن يستشهد بها مدعي الرسالة على صدق دعواه.

---

(١) تنظر المسألة في: فتح القدير للشوكاني،٦٤٤/٢، تفسير المراغي، ١٤٣/١٤، مباحث في إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص٣٢، المعجزة القرآنية، د. محمد حسن هيتو، ص٣٣.

٤. **الشرط الرابع:** أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة.
٥.**الشرط الخامس:** ألا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة على وجه المعارضة[١].
فهذه الشروط الخمسة، إن تحققت، كان الأمر الخارق للعادة معجزة دالة على نبوة صاحب الدعوى التي ظهرت المعجزة على يده، وإن لم تتحقق خرجت عن كونها معجزة، ولم تدل على صدق صاحب الدعوى.

***أما الشرط الأول:** فإنه لو أتى آت – في زمان يصح فيه مجيء الرسل – وادعى الرسالة وجعل معجزته أن يقوم ويقعد، ويأكل ويشرب، ويتحرك من مكان إلى مكان، لم يكن هذا الذي ادعاه معجزة، ولا دالا على صدقه، لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر، وانشقاق القمر، وإحياء الموتى،...إلى آخره.
***وأما الثاني:** وهو خرق العادة، فلو قال المدعي للنبوة: معجزتي أن تطلع الشمس من المشرق وتغرب من المغرب، وأن يأتي النهار بعد الليل، لم يكن فيما ادعاه معجزة، لأن هذه الأمور وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، لكنها لم تفعل من أجله، وقد كانت من قبله، فليس فيها دلالة على صدقه.
***وأما الثالث:** وهو أن يستشهد بها مدعي النبوة، وتحصل عند طلبها تصديقا لدعواه، فلو ادعى إنسان أن معجزته، أن ينقلب الجماد إلى حيوان أو إنسان، ولم ينقلب لا يدل على صدق دعواه.
***وأما الرابع:** وهو أن تقع المعجزة على وفق الدعوى، لا على خلافه؛ لأنها حينذاك تكون تكذيبا له، روي أن (مسيلمة الكذاب) – لعنه الله – طلب منه أصحابه أن يتفل في بئر، ليكثر فيها الماء، فغارت البئر، فدل على كذبه[٢].

وأما الخامس: ألا تعارض المعجزة، فإن عورضت، بطل كونها معجزة، ولم تدل على صدق صاحبها، فلو استطاع أحد فلق البحر أو شق القمر، لم تعد معجزة، ولهذا قال تعالى: في خطاب المشركين(**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**) [الطور: ٣٤].

---

(١) ينظر: مقدمة في إعجاز القرآن، د . مروان وحيد شعبان، ص٣٨، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣٨٢/٧، شرح المواقف للجرجاني،٨/ ٢٢٣ .
(٢) ينظر: تفسير القرطبي ٧٠/١.

المبحث الثالث: بم كان إعجاز القرآن؟

القرآن العظيم كلام الله المعجز للخلق، في أسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة.

ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان عن إعجاز القرآن، بعد أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان، وقد أجمع أهل العربية قاطبة، وأهل اللسن منهم والبيان، على أن القرآن (معجز بذاته) أي: أن إعجازه إنما كان بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد، الذي لا يشابهه فيه أسلوب، لا من نثر، ولا من شعر، ومسحته اللفظية الخلابة، التي تتجلى في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي، وبراعته الفنية.

مذهب أهل الصّرفة:

وقد ذهب بعض المعتزلة منهم (أبو إسحاق النظّام) إلى أن إعجاز القرآن إنما كان بـ (الصّرفة)، بمعنى أن الله عز وجل، صرف البشر عن معارضة القرآن، مع قدرتهم عليها، وخلق فيهم العجز عن محاكاته في أنفسهم وألسنتهم، ولولا أن الله صرفهم عن ذلك لاستطاعوا أن يأتوا بمثله.

يقول (مصطفى الرافعي) رحمه الله[1]: وقد اختلفت آراء المعتزلة في وجه إعجاز القرآن، فذهب شيطان المتكلمين (أبو إسحق النظام) إلى أن الإعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقًا للعادة وقال (المرتضى من الشيعة): بل معنى الصّرفة، أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة، ليجيئوا بمثل القرآن.. فكأنه يقول: إنهم بلغاء يقدرون على مثل النظم والأسلوب، ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم، ولا كان العلم في زمنهم.. وهذا رأي بيّن الخلط كما ترى!

ثم قال: وعلى الجملة، فإن القول بالصّرفة لا يختلف عن قول العرب فيه:(**إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ**) [المدثر: ٢٤]، وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذبهم فيه، وجعل القول به ضربًا من العمى :(**أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ**) [الطور: ١٥].

وعلى ذلك المذهب الفاسد، يمكن أن يقال: إن المعجز ليس هو القرآن الكريم على حد زعمهم إنما هو (الصّرفة) التي بسببها عجزوا عن الإتيان بمثله:(**صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**)[التوبة: ١٢٧].

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص١٦٤. وتنظر المسألة في: الإتقان، للسيوطي، ٣١٤/٢، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٩٥/٢، المعجزة الكبرى للعلامة محمد أبي زهرة، ص٣٩، مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري،٢٩٦/١، الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي، ص١٣١-١٣٣.

دفع شبهة القول بالصّرفة[1]:

إن أصحاب هذا القول يذهبون إلى أن القرآن ليس معجزًا بذاته، وإنما كان إعجازه بسبب أمرين:

الأول: الصارف الإلهي الذي زهدهم في المعارضة، فكسلوا وقعدوا.

الثاني: العارض المفاجئ الذي عطل مواهبهم البيانية وقدرتهم البلاغية.

وهذا القول – بشقيه – باطل، لا يثبت أمام البحث، ولا يتفق مع الواقع وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لو كان هذا القول صحيحًا، لكان الإعجاز في (الصّرفة) لا في القرآن نفسه، وهذا باطل بالإجماع.

ثانيًا: لو صح القول بالصّرفة، لكان ذلك (تعجيزًا) لا (إعجازًا)؛لأنه حينئذ يشبه ما لو قطعنا لسان إنسان ثم كلفناه بعد ذلك بالكلام، فهذا ليس من باب العجز، وإنما هو من باب التعجيز.

ثالثًا: لو كان هناك صارف زهدهم في المعارضة من (كسل أو ملل)، لما وقفوا في وجه نبي الإسلام، ولما آذوه وأصحابه، ولما عذبوا المسلمين وشردوهم، ولما قاطعوا الرسول وعشيرته وحاصروهم في الشعب،حتى أكلوا ورق الشجر، ولما فاوضوه وساوموه على أن يترك الدعوة ثم اضطروه إلى الهجرة هو وأصحابه الكرام، إلى غير ما هنالك من دوافع وبواعث، جعلتهم يسلكون كل سبيل للقضاء على الإسلام.

رابعًا: لو كان هناك عارض مفاجئ،عطل مواهبهم البيانية، لأعلنوا ذلك في الناس، ليلتمسوا العذر لأنفسهم، وبالتالي ليقللوا من شأن القرآن، ولكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة منهم قبل نزوله، وهذا باطل واضح البطلان.

خامسًا: لو كان هذا العارض المفاجئ صحيحًا؛ لأمكننا نحن الآن، وأمكن المشتغلين بالأدب العربي في كل عصر، أن يعارضوا القرآن، وأن يتبينوا الكذب في دعوى إعجازه، وكل هذه الأشياء باطلة، فهل يرضى عاقل لنفسه أن يقول بعد ذلك كله: إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبي القرآن، وأنهم كانوا مخلدين إلى العجز والكسل، زاهدين في النزول لذلك الميدان؟!

وهل يصح لإنسان يحترم نفسه وعقله أن يصدق بمثل هذا الافتراء القول (بتعطيل المواهب والحواس) بعد أن يستمع إلى شهادة ألدّ الأعداء من صناديد قريش وهو (الوليد بن المغيرة) حيث

---

(١) **تنظر المسألة في:** المعجزة الكبرى، أبو زهرة، ص٨٣، وما بعدها، دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي، ص٢٧٤، مناهل العرفان، للزرقاني، ٣٠٢/٢.

قال كلمته المشهورة: (والله لقد سمعت آنفا كلامًا ليس من كلام بشر، ليس بشعر ولا نثر ولا كهانة، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه) والفضل ما شهدت به الأعداء.

المبحث الرابع: وجوه إعجاز القرآن الكريم[1]

آراء العلماء في الإعجاز:

بعد أن أجمع العلماء على إعجاز القرآن بذاته، وعلى عدم استطاعة أحد من البشر الإتيان بمثله، اختلفت آراؤهم في وجه إعجاز القرآن على آراء:

أ) يرى بعضهم: أن وجه الإعجاز في القرآن، هو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم، في مطالعه، ومقاطعه، وفواصله.

ب) ويرى البعض الآخر: أن وجه الإعجاز، إنما يكمن في فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وجودة سبكه، إذ هو في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها.

ت) ويرى آخرون أن الإعجاز في خلوه من التناقض، واشتماله على المعاني الدقيقة، والأمور الغيبية التي ليست بمقدور البشر، ولا في استطاعتهم معرفتها، كما أنه سليم من التناقض والتعارض.

ث) وهناك من يقول: إن وجه الإعجاز هو ما تضمنه القرآن من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة، في الفواتح، والمقاصد، والخواتيم في كل سورة، والمعول عليه عندهم ما يلي:

١- الفصاحة في الألفاظ.

٢- البلاغة في المعاني.

٣- صورة النظم البديع.

وهذه الأقوال كلها لا تخرج عن دائرة واحدة هي (الدائرة البيانية) التي امتاز بها القرآن، وهي وإن كانت حقًا إلا أن إعجاز القرآن ليس في (الفصاحة والبلاغة) فحسب، بل هناك وجوه أخرى لإعجاز القرآن.

وقد أجاد العلامة (القرطبي) رحمه الله، فعدّ عشرة وجوه لإعجاز القرآن، كما ذكر فضيلة الشيخ (الزرقاني) في كتابه (مناهل العرفان) أربعة عشر وجهًا من وجوه الإعجاز، ومنها ما ذكره القرطبي ومنها ما لم يذكره، ونحن نذكر هذه الوجوه بالإيجاز، ثم نعقبها بشيء من التفصيل:

---

(١) **تنظر المسألة في:** إعجاز القرآن للباقلاني،ص٦٢-٧١، الشفاء للقاضي عياض، ص١٥٦-١٦٨، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد، القرطبي، ص٣٢٩-٣٣٤، أعلام النبوة للماوردي، ص١٢٦-١٥٢ .

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

أولاً: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.
ثانيًا: الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.
ثالثًا: الجزالة التي لا يمكن لمخلوق أن يأتي بمثلها.
رابعًا: التشريع الدقيق الكامل، الذي يبز كل تشريع وضعي.
خامسًا: الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي.
سادسًا: عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.
سابعًا: الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.
ثامنًا: العلوم والمعارف التي اشتمل عليها (العلوم الشرعية والعلوم الكونية).
تاسعًا: وفاؤه بحاجات البشر.
عاشرًا: تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء.

أما الوجه الأول من وجوه إعجازه فهو (النظم البديع) المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب، فالقرآن الكريم لا يشبهه شيء في نظمه، لا من شعر ولا من نثر، وذلك بشهادة أساطين البلاغة، وأئمة الفصاحة والبيان، (الوليد بن المغيرة) و (عتبة بن ربيعة) وغيرهما من فصحاء العرب ومشاهيرهم.

أما الوجه الثاني لإعجاز القرآن: فهو (الأسلوب العجيب) المخالف لجميع الأساليب العربية، فقد جاء القرآن بذلك الأسلوب الرائع الخلاب، الذي بهر العرب برونقه وجماله، وعذوبته وحلاوته، وقد كانت فيه من الخصائص العليا ما لم توجد في كلام بشر على نحو ما وجدت في القرآن، خصوصًا وأن النبي ﷺ تحدّى به فأعجز أساطين الفصحاء، وأعيا مقاويل البلغاء، وأخرس ألسنة فحول البيان، وذلك في عصر، كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان، وفي أمة كانت مواهبها محشودة للتفوق.

أما الوجه الثالث من وجوه الإعجاز، ذلك الإيجاز الرائع، والجزالة الخارقة التي ليس بإمكان مخلوق من البشر أن يحيط بها أو يأتي بمثلها لأنها فوق الطاقة البشرية، والقدرة الإنسانية.

لقد كان البدوي، راعي الغنم، يسمع القرآن، فيخر ساجدا لله رب العالمين، وذلك لروعة هذا الكتاب المجيد، ولما يفعل به في نفوس السامعين، وهو دليل رقة الإحساس، ولطف الشعور من أولئك الرعاة الجفاة.

يروى أن (الأصمعي) خرج ذات يوم فلقي جارية، وسمعها تنشد أبياتا من الشعر رائعة، فأعجب بتلك الأبيات وهزت منه النفس والقلب، بجمال أسلوبها، وروعة بيانها، وفصاحة ألفاظها، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك؟! فقالت له: ويحك أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى: **(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [القصص: ٧]، ثم قالت له: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين[1].

فالآية الكريمة جمعت بين أمرين وهما:**(أرضعيه)** و **(ألقيه في اليم)** ونهيين وهما:**(ولا تخافي)** و **(ولا تحزني)** وخبرين وهما: **(أوحينا)** و **(خفت)** وبشارتين وهما: **(إنا رادوه إليك)** و **(وجاعلوه من المرسلين)**، فالبشارة الأولى برده إليها سليما كريما، والبشارة الثانية وهي أن الله سبحانه وتعالى سيجعله رسولا هاديا.

فانظر – رعاك الله – كيف أدركت هذه الجارية البدوية، بفطرتها العربية، سرا من أسرار هذا القرآن، فكأن الآية نظمت في عقد من اللؤلؤ والمرجان فكانت لآلئها بميزان.

وأما الوجه الرابع من وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك التشريع الإلهي الكامل، الذي يسمو فوق كل تشريع وضعي عرفه البشر في القديم والحديث، فالقرآن الكريم هو الذي وضح أصول العقائد، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والآداب، وقواعد التشريع الاقتصادي والسياسي والمدني والاجتماعي، وهو الذي نظم حياة الأسرة، والمجتمع، ووضع أعدل المبادئ الإنسانية الكريمة التي ينادي بها دعاة الإصلاح في القرن العشرين ألا وهي (المساواة، العدالة، الحرية) إلى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع، الذي تسعى إليه المدنية الحديثة.

وقد نص القرآن الكريم على أمهات الجرائم، وأعظمها خطرًا على مستقبل الفرد والجماعة، ووضع لكل منها عقوبات مقدرة، لا يجوز الزيادة عليها أو النقصان منها، أو التساهل في تطبيقها، وترك ما سوى ذلك من (الجرائم الخفيفة) للحاكم المسلم، ينفذ فيها ما يراه من العقوبة، على ضوء السنة النبوية المطهرة، وبالشكل الذي يحقق روح الإسلام من إرادة الخير للناس، وتطهير المجتمع من المفاسد والمظالم الاجتماعية.

أما الجرائم الكبيرة التي عين لها القرآن عقوبات رادعة فهي خمسة (جريمة القتل، جريمة الزنى، جريمة السرقة، جريمة قطع الطريق، جريمة الاعتداء على كرامة الناس بالقذف).

ولعل أروع مثل للمقارنة بين (التشريع الإلهي القرآني) وبين (التشريع الوضعي) الذي هو من صنيع البشر، ذلك الأثر العظيم الذي تركه القرآن الكريم في نفوس العرب بسبب تلك الطريقة

---

(١) ذكرها القرطبي في تفسيره، ٢٥٢/١٣.

الحكيمة التي سلكها في معالجة المفاسد والأمراض الاجتماعية، حيث قضى على كل فساد، واستأصل كل جريمة من نفوسهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، فملكوا الدنيا وسادوا العالم.

والوجه الخامس من وجوه إعجاز القرآن الكريم **(إخباره عن المغيبات)**، وذلك برهان ساطع، ودليل قاطع،على أن هذا القرآن ليس من كلام بشر، إنما هو كلام علاّم الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية، ولو كان من صنع محمد – كما زعموا – لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية، بوقوعها على خلاف ما أخبر، ولافتضح أمره بالكذب الصريح، وحاشاه ﷺ من الكذب على الله.

أ- **فمن هذه الأخبار الغيبية،** إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس، وستكون الغلبة فيها والانتصار للروم، بعد أن انكسروا في الحرب السابقة وذلك في قوله تعالى:(**الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)**) [الروم: ١-٥].

يقول الزمخشري: وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

ب- التنبؤ بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى:(**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)** [التوبة: ٣٣].

وكذلك التنبؤ بالمستقبل الباسم الذي سيكون للمؤمنين وذلك في قوله تعالى:(**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)** [النور:٥٥].

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي، فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكن المسلمين في الأرض في حياة النبي ﷺ.

ولم يبق جزء منها، إلا دان للمسلمين بالطاعة، ومن لم يدخل في الإسلام، دخل في ذمة المسلمين، وخضع لسلطانهم، ودفع الجزية لهم، ثم سار أصحابه من بعده إلى أرض كسرى وأرض هرقل، فأزالوا دولة الفرس، ودولة الرومان، ولم يمض قرن من الزمان حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فصارت تمتد من بحر الظلمات في المغرب إلى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم، وكان وعد الله مفعولا.

وهذا أمر خارق للعادة، فكان وجهًا من وجوه الإعجاز؛لأن مثله لا يتفق إلا بإخبار من عند الله جل وعلا، ولا يغيب عن بالنا أن جميع القصص الذي جاء في القرآن الكريم، هو من باب الإخبار عن غيوب الماضي، الذي أطلع الله رسوله الكريم عليه، وما كان له علم بها.

والوجه السادس من وجوه إعجاز القرآن، تلك الإشارات الدقيقة إلى بعض العلوم الكونية التي سبق إليها القرآن قبل أن يكشفها العلم الحديث، ثم عدم تعارضه مع ما يكشفه العلم من نظريات علمية حديثة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الناحية من نواحي الإعجاز بقوله جل شأنه :(**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** [فصلت: ٥٣].

وقد عرف هذه الوجه في عصرنا الحديث بمسمى الإعجاز العلمي، واعتنى به العلماء كثير، وهو يهتم بدراسة الآيات التي فيها إشارة إلى قضايا تتعلق بالطب، أو بالفلك أو النبات والحيوان، وغيرها .

ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة أو فيزياء، وإنما هو كتاب (هداية وإرشاد) وكتاب (تشريع وإصلاح)، ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة، والحقائق الخفية، إلى بعض المسائل الطبيعية، والطبية، والجغرافية، مما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحيًا من عند الله، فمن المقطوع به أن محمدا ﷺ، كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره، ولم يكتشف العلم أسرارها إلا منذ زمن قريب، وذلك من أصدق البراهين على أن هذا القرآن، ليس من تأليف محمد ﷺ – كما يزعم بعض المستشرقين – إنما هو وحي من الله، أنزله على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين.

الوجه السابع من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (الوفاء بالوعد) في كل ما أخبر عنه، وفي كل ما وعد الله سبحانه عباده به، وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين: وعد مطلق، كوعده بنصر رسوله، ونصر المؤمنين على الكافرين. ووعد مقيد كشرط التقوى وشرط الصبر كقوله تعالى: **(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)** [الطلاق:٢– ٣].

الوجه الثامن من وجوه إعجاز القرآن، هذه العلوم والمعارف التي زخر بها القرآن الكريم.

إن القرآن قد جاء بالعلوم المتنوعة، والمعارف المتعددة، في العقائد، والعبادات والتشريع والتنظيم، وفي الأخلاق والمعاملات، وفي حقول شتى: في التربية والتعليم، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الفلسفة والاجتماع، وكذلك في القصص والأخبار، وفي أصول المناظرة والجدل. ولا شك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فكيف يستطيع رجل أمي أن يأتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم والمعارف تحقيقًا وكمالاً، مؤيدًا بالحجج والبراهين، بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئًا عنها، ولم ينطق بقاعدة أو أصل منها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون وحيًا من الله تعالى؟

الوجه التاسع من وجوه إعجاز القرآن (وفاؤه بحاجات البشر) وهذا الوجه من وجوه الإعجاز ظاهر جلي، يدركه كل متأمل في شريعة الإسلام، فقد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة، شاملة واسعة، تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان، ويتجلى ذلك إذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رمى إليها القرآن في هدايته وإرشاده وهي بإيجاز:

١- إصلاح الأفراد.
٢- إصلاح المجتمعات.
٣- إصلاح العقائد.
٤- إصلاح العبادات.
٥- إصلاح الأخلاق.
٦- إصلاح الحكم والسياسة.
٧- إصلاح الشؤون المالية.
٨- إصلاح الشؤون الحربية.
٩- إصلاح الثقافة العلمية.
١٠- تحرير العقول والأفكار من الخرافات.

الوجه العاشر من وجوه إعجاز القرآن: ذلك التأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى لقد بلغ من شدة التأثير، أن المشركين أنفسهم كانوا يخرجون في جنح الليل يستمعون إلى تلاوة القرآن من المسلمين، وحتى تواصوا فيما بينهم ألا يستمعوا إلى القرآن، وأن يرفعوا أصواتهم بالضجيج، حينما يتلوه محمد، لئلا يؤمن به الناس:(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)** [فصلت:٢٦].

ولقد بلغ من تأثير القرآن في القلوب، أن يفيء إلى ظلاله أشد الناس عداوة له، وأعظمهم عنادا، فيسلم كثير من هؤلاء الزعماء، وعلى رأسهم (عمر بن الخطاب) و (سعد بن معاذ) و (أسيد بن حضير) وغيرهم من القادة والرؤساء.

الوجه الحادي عشر من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم (سلامته من التناقض والتعارض خلافا لجميع كلام البشر)، وصدق الله حيث يقول:(**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) [النساء:٨٢].

هذه بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.. معجزة النبي الأمي إلى العالمين في كل زمان ومكان إلى يوم يبعثون.

أسئلة للمناقشة

أكمل الجمل التالية:

المجموعة الأولى:

- علم القراءات القرآنية هو.....
- من فوائد معرفة القرآن المكي والمدني.....و.....
- قام الصحابي الجليل..... بجمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر، رضي الله عنه.
- سبب النزول هو.....
- النسخ هو.....
- أنكر.....النسخ، ويزعمون أنه يستلزم البداء.
- أنواع النسخ في القرآن.....و.....و.....
- الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل

هي.....و.....و.....و.....و.....

المجموعة الثانية:

- كيف جُمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر، رضي الله عنه؟
- ما ضوابط الجمع التي وضعها سيدنا عثمان، رضي الله عنه؟
- هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟
- ماذا تعني جملة" آيات الصفات" وما موقف العلماء من تفسيرها؟
- هل يقع النسخ في أصول العبادات والمعاملات؟
- اذكر بعضا من فوائد القصص القرآني؟
- ماذا يعني مصطلح" الأمثلة الكامنة" مع ذكر مثال لذلك؟
- هل نتمثل بقصص الأنبياء الوارد في القرآن الكريم، مثل: سفينة نوح وعصا موسى وغيرهما؟
- ما الغاية من القسم القرآني، وعلام يقسم الله تعالى؟
- ما شروط الإعجاز؟
- ما شروط المعجزة ؟
- ماذا تعرف عن: الصرفة، وكيف ترد على من قال به؟.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، قال تعالى: **(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)**[يونس:٨٥]، فقد أنعم علينا ووفقنا لإكمال هذا الكتاب، فله الحمد والمنة على ذلك.

وحيث إن علوم القرآن: هي مجموعة المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه،...إلخ، فقد جعلنا عنوان هذا الكتاب (مباحث في علوم القرآن) **وكان من أهم هذه المباحث التي تناولها هذا الكتاب، الآتي:**

- التعريف بعلوم القرآن والمؤلفات فيه.
- التعريف بالقرآن الكريم، وأسمائه، وأوصافه، والفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والنبوي.
- الحديث عن الوحي وكيفياته، وصوره، وتنزلات القرآن والحكمة من ذلك، ونزول القرآن على سبعة أحرف وأقوال العلماء في ذلك، وحكمه، وفوائده.
- البيان للمكي والمدني، وفوائدهما، وضوابطهما، ومقاصدهما.
- بيان أسباب جمع القرآن الكريم وترتيبه، (ومراحل الجمع، وصفات كل مرحلة)، وترتيب الآيات والسور، الرسم العثماني.
- وتناولت أسباب النزول، وبيّنت عناية العلماء به، وفصّلنا القول في قاعدة عموم اللفظ وخصوص السبب، فوائد.
- وعرّفت بالمحكم والمتشابه، وبيّنت أقوال العلماء في ذلك، والحكمة من المتشابه.
- ووقفت على الناسخ والمنسوخ، تعريفًا، وبيانًا لأقسامه وأنواعه، وحكمته.
- وتطرقت إلى القسم في القرآن الكريم، والغاية منه، وأنواعه.
- ووقفت على فواتح وخواتيم السور، والمناسبات، وأهميتها، وأنواعها .
- وتناولت تعريف إعجاز القرآن الكريم وبيّنا وجوه إعجازه.

وقد حاولت . في كل ما سبق . أن أقدم المعلومة سهلة ومبسطة، كي يتمكن طلابنا الأعزاء من الاستفادة من كل ما قُدم، كما راعيت توثيق المعلومات من مصادرها الأصيلة ، لمن أراد الاستزادة، كل ذلك اشتمله منهج مبسط أكاديمي مرتب على حسب الأصول العلمية.

أضرع إلى الله عز وجل أن يحقق للمسلمين النجاح والتوفيق ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق:٣] .

المصادر والمراجع

١. الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٢. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى(٩١١هـ)، تحقيق سعيد المندوه، دار الفكر، لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٣. الأحرف السبعة للقرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة ط: الأولى، ١٤٠٨م

٤. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارس (٧٣٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م

٥. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص(٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤٠٥هـ .

٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي (ت٩٢٣هـ)، ط المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ

٧. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد ابن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق– كفر بطنا، دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

٨. أسباب النزول، لأبي الحسن على بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي لنيسابوري(٤٦٨هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط الأولى ١٤٢٧هـ ١٩٩٦م

٩. الأسماء والصفات لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

١٠. الإصابة في معرفة الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ت (٨٥٢) هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد ابن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م
١٢. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين المستشرقين لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ت(١٣٩٦)هـ، ط دار العلم للملايين، ط، الخامسة عشر ٢٠٠٢ م
١٣. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى ابن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط الأولى، ١٣٧٩هـ – ١٩٧٠م
١٤. الانتصار للقرآن للأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم" المعروف بالباقلاني، ط دار الفتح– عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط الأولى١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، تحقيق د. محمد عصام القضاة.
١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لإمام المحققين ناصر الدين أبى سعيد عبدالله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٧٩١هـ)، دار الفكر، بيروت
١٦. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم بن عبد الله ابن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤م–١٤٢٤هـ
١٧. البحر المحيط لأبى حيان – أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن على ابن حيان الأندلسي (٦٥٤هـ)، مطابع النصر الحديثة – الرياض.
١٨. البداية والنهاية للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(٧٧٤)هـ ط مكتبة المعارف، بيروت.
١٩. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت(٧٩٤)هـ ط، دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٢٠. تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت(٢٧٦) هـ، ط: دار الكتب العلمية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
٢١. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني(٨١٦هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٢. تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م

٢٣. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٤. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لعبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي(٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية، صيدا.
٢٥. تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، سنة ١٤١٩هـ
٢٦. التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر(٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.
٢٨. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠١م، ط : الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.
٢٩. التيسير في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م
٣٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير – تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف.
٣١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط الثانية ١٣٧٢هـ
٣٢. جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، لأبي طاهر عبد القيوم لعبد الغفور السندي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة
٣٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٣٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، درا الفكر، بيروت١٩٩٣م .
٣٥. دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل (ت١٤٢٦هـ)، دار المنار، ط الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٦. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م
٣٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق د: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط الأولى١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي(١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.
٣٩. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(٥٩٧هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
٤٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشافعي(٩٤٢هـ)، تحقيق: إبراهيم الترزي، وعبد الكريم العزباوي . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٤١. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: المعروف بابن ماجة (٢٧٣هـ)، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، درا إحياء الكتب العربية.
٤٢. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة الثقافية، بيروت.
٤٣. السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي(٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان بندار، وسيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤١١هـ ١٩٩١م .
٤٤. شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي – نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م
٤٥. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد النُّوَيْري (ت٨٥٧هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م
٤٦. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، طالأولى ١٤١٠هـ.
٤٧. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي(٢٥٦هـ)، حققه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٤٨. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري(٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٩. صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ..
٥٠. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى، تحقيق سليمان ابن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٥١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ) تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى١٤١٩هـ ١٩٨٨م.
٥٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠)هـ، دار الفكر، بيروت.
٥٣. فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (٢٢٤)هـ، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط أولى ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٥٤. القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
٥٥. القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م
٥٦. كتاب السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ت(٣٢٤) هـ، ط دار المعارف – مصر ١٤٠٠هـ، ط: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف.
٥٧. كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٣١٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر الفاروق الحديثة – مصر، ط الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م
٥٨. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد ابن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت ١١٥٨هـ)،تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: الأولى – ١٩٩٦م.
٥٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل فى وجوه التأويل، لأبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت.
٦٠. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيحي، المعروف بالخازن(ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٤١٥ هـ

٦١. لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. بيروت–لبنان، دار صادر، ط الثالثة ١٤١٤ هـ.
٦٢. مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، ط الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م
٦٣. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط الرابعة والعشرون كانون الثاني، يناير ٢٠٠٠م
٦٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي(٨٠٧هـ) دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت ١٤٠٧.
٦٥. مجموع فتاوى ابن تيمية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(٧٢٨هـ)، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. دار الرحمة.
٦٦. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمى، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٦٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبى محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى١٤١٣هـ 1993م.
٦٨. مختار الصحاح. لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: محمود خاطر، بيروت–لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.
٦٩. مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي(ت٤٩٦هـ)، مجمع الملك فهد – المدينة المنورة سنة١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م
٧٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
٧١. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، لمحمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب ، ط الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
٧٢. المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، ط الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٧٣. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج،: دار صادر – بيروت١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٧٤. المستدرك على الصحيحين أبي عبد الله لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري(٤٠٥)، ط دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ط: الأولى تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٧٥. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م
٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ت (٧٧٠) هـ، ط: المكتبة العلمية – بيروت.
٧٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط الأولى ١٤٢٠ هـ
٧٨. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأحمد عمر أبي شوفة، دار الكتب الوطنية – ليبيا، سنة٢٠٠٣م.
٧٩. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة
٨٠. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني(٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
٨١. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٨٢. مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م
٨٣. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٨٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني، ط، دار الفكر– لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٨٥. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري(ت٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م
٨٦. الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، سنة١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

٨٧. موسوعة علوم القرآن، لعبد القادر محمد منصور، دار القلم العربى – حلب، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.
٨٨. موطأ الإمام مالك أبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى عالم المدينة شرفها الله ت(١٧٩)هـ، ط دار القلم، ط الثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
٨٩. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ) . قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م
٩٠. النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.
٩١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم ابن عمر البقاعي ت(٨٨٥هـ)هـ، ط، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.
٩٢. نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد محمد معبد (ت١٤٣٠هـ)، دار السلام – القاهرة، ط الثانية،: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
٩٣. نواسخ القرآن لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصارى – بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
٩٤. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت١٤٢٢هـ)، دار الجيل – بيروت، ط الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٩٥. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

فهرس الموضوعات

- المقدمة
- الدراسات السابقة
- المشتملات
- الأهداف العامة لدراسة مقرر" دراسات في علوم القرآن"
- التمهيد
- المبحث الأول: علوم القرآن.... التعريف والنشأة والتطور
- المطلب الأول: تعريف علوم القرآن
- المطلب الثاني: نشأة علوم القرآن
- المطلب الثالث: ظهور اصطلاح علوم القرآن
- المبحث الثاني: القرآن الكريم أسماؤه وأوصافه (وسوره)
- المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم
- المطلب الثاني: أسماء القرآن الكريم:
- المطلب الثالث: أوصافه
- المطلب الرابع: سور القرآن
- المطلب الخامس: هل تسمية السور القرآنية توقيفية أم اجتهادية؟
- المبحث الثالث: الحديث القدسي
- المطلب الأول: تعريفه، ووجه التسمية
- المطلب الثاني: الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الأول: الوحي**

- المبحث الأول: تعريف الوحي، كيفيته وصوره، إثباته
- المطلب الأول: تعريف الوحي
- المطلب الثاني: كيفيته وصوره
- المبحث الثاني: إثبات وإمكان ظاهرة الوحي
- المطلب الأول: هل يمكن أن تتحقق ظاهرة الوحي؟
- المطلب الثاني: أدلة إمكان الوحي وتقريبه للعقول
- المطلب الثالث: بعض الأدلة التي تثبت أن الوحي من الله تعالى
- أسئلة للمناقشة

- ✓ **الفصل الثاني: نزول القرآن**
  - ▪ المبحث الأول: تنزلات القرآن
    - المطلب الأول: التنزيل الأول
    - المطلب الثاني: التنزيل الثاني
    - المطلب الثالث: التنزيل الثالث
  - ▪ المبحث الثاني: نزوله منجمًا
    - المطلب الأول: أدلة نزول القرآن منجمًا
    - المطلب الثاني: الحكمة من نزول القرآن منجمًا
    - المطلب الثالث: ملاحظة على مدة التنزيل
    - المطلب الرابع: بين العبرة من نزول القرآن منجمًا والواقع المعاصر
  - المبحث الثالث: معرفة أول وآخر ما نزل، وفوائد
    - المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن على الإطلاق
    - المطلب الثاني: آخر ما نزل
    - المطلب الثالث: أوائل موضوعية
    - فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل
  - ▪ المبحث الرابع: القراءات القرآنية، والأحرف السبعة
    - المطلب الأول: تعريف القراءات، وعلاقتها بالقرآن
    - المطلب الثاني: أقسام القراءات، وأركان القراءة الصحيحة
    - المطلب الثالث: حكم تعلم القراءات
    - المطلب الرابع: أهم المؤلفات في علم القراءات
    - المطلب الخامس: الأحرف السبعة
    - المطلب السادس: فوائد اختلاف القراءات وتعدد الحروف
    - المطلب السابع: مراتب القراءة
    - المطلب الثامن: آداب التلاوة
    - أسئلة للمناقشة
- ✓ **الفصل الثالث: المكي والمدني**
  - ▪ المبحث الأول: تعريف المكي والمدني
  - ▪ المبحث الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني
  - ▪ المبحث الثالث: كيفية معرفة المكي والمدني، وضوابطهما
    - المطلب الأول: كيفية معرفة المكي والمدني

- المطلب الثاني: ضوابط معرفة المكي والمدني
- المطلب الثالث: مقاصد المكي والمدني
- المطلب الرابع: مقاصد الشريعة والعلاقة بين المكي والمدني
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الرابع: في جمع القرآن وكتابته وترتيبه**

▪ المبحث الأول: جمع القرآن
- المطلب الأول: جمع القرآن في الصدور
- المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ
- المطلب الثالث: الجمع في عهد عثمان ﷺ

▪ المبحث الثاني: ترتيب الآيات والسور
- المطلب الأول: ترتيب الآيات
- المطلب الثاني: ترتيب السور
- المطلب الثالث: تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الخامس: أسباب النزول**

▪ المبحث الأول: تعريف سبب النزول لغة واصطلاحًا
- المطلب الأول: تعريف سبب النزول لغة
- المطلب الثاني: تعريف سبب النزول اصطلاحًا

▪ المبحث الثاني: كيفية معرفة سبب النزول؟
▪ المبحث الثالث: فوائد معرفة أسباب النزول
▪ المبحث الرابع: التعبير عن سبب النزول
▪ المبحث الخامس: تعدد الروايات في سبب النزول
- المطلب الأول: تتعدد الأسباب والمنزل واحد
- المطلب الثاني: تعدد النزول وتكرره
- المطلب الثالث: تعدد النازل والسبب واحد

▪ المبحث السادس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
▪ المبحث السادس: الاستفادة من هذه المباحث في المنهج التعليمي والتربوي
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل السادس: المُحْكم والمُتشابِه**

▪ المبحث الأول: تعريف المُحْكَم والمُتَشابِه لغة واصطلاحًا

- المطلب الأول: المعنى اللغوي للمُحْكَم والمُتشابِه
- المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي
- المطلب الثالث: آراء العلماء في معنى المُحْكَم والمُتشَابِه
- المطلب الرابع: القرآن الكريم محكم ومتشابه
- المبحث الثاني: هل المتشابه مما يمكن معرفته؟
- المبحث الثالث: أنواع المتشابهات
- المطلب الأول: أنواع المتشابهات
- المطلب الثاني: آيات الصفات
- المطلب الثالث: أقوال العلماء في آيات الصفات
- المبحث الرابع: الحكمة من المتشابه
- المطلب الأول: حكم المتشابه الذي لا يمكن علمه
- المطلب الثاني: حكم المتشابه الذي يمكن علمه
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل السابع: الناسخ والمنسوخ**

- المبحث الأول: تعريف، وحكمه، وشروطه
- المطلب الأول تعريف النسخ لغة واصطلاحًا
- المطلب الثاني: حكم النسخ: قبل وقت الفعل
- المطلب الثالث: شروط النسخ
- المبحث الثاني: ما يقع فيه النسخ
- المبحث الثالث:أهمية النسخ، وحكمته، وطرق معرفته
- المطلب الأول: أهمية معرفة النسخ
- المطلب الثاني: حِكَم النسخ
- المطلب الثالث: طرق معرفة النسخ
- المبحث الرابع: آراء العلماء في حقيقة
- المبحث الخامس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة
- المبحث السادس: أنواع النسخ في القرآن
- المبحث السابع: النسخ إلى بدل وإلى غير بدل
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الثامن: المثل في القرآن الكريم**

- المبحث الأول: تعريف المثل

- المبحث الثاني: أنواع الأمثال في القرآن
  - المطلب الأول: النوع الأول: الأمثال المصرحة
  - المطلب الثاني: النوع الثاني: الأمثال الكامنة
  - المطلب الثالث: النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم
- المبحث الثالث: ما يتمثل به من قصص الأنبياء
- المبحث الرابع : أغراض الأمثال
- المبحث الخامس : الدور التربوي للأمثال
  - أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل التاسع: القسم في القرآن الكريم**

- المبحث الأول: القسم وأنواعه
- المبحث الثاني: لمَ أقسم الله تعالى
- المبحث الثالث: بم يقسم الله؟
  - المطلب الأول : القسم الله تعالى بذاته
  - المطلب الثاني : القسم بالقرآن الكريم
  - المطلب الثالث: القسم بالنبي ﷺ
  - المطلب الرابع: القسم بمظاهر الطبيعة
  - المطلب الخامس: القسم بالأزمنة
  - المطلب السادس: القسم بيوم القيامة
  - المطلب السابع : أعم قسم في القرآن الكريم
- المبحث الرابع: علام يقسم الله تعالى
- المبحث الخامس: الظواهر الأسلوبية التي يتميز بها القسم في القرآن
  - المطلب الأول: الظاهرة الأولى
  - المطلب الثاني: الظاهرة الثانية
  - المطلب الثالث: الظاهرة الثالثة
  - المطلب الرابع: الظاهرة الرابعة
  - المطلب الخامس: الظاهرة الخامسة
  - المطلب السادس الظاهرة السادسة
  - أسئلة للمناقشة
- **الفصل العاشر : المطلق والمقيد .**

- المطلب الأول: تعريفهما.
- المطلب الثاني: دلالة المطلق والمقيد .
- أولا : دلالة المطلق.
- ثانيا: دلالة المقيد.
- المطلب الثالث: متى يحمل المطلق على المقيد.

✓ **الفصل الحادي عشر: فواتح وخواتيم السور، والمناسبات.**

- المبحث الأول: فواتح السور
- المبحث الثاني: خواتم السور
- المبحث الثالث: المناسبات بين الآيات والسور
- المطلب الأول: تعريف الماسبة
- المطلب الثاني: أهمية علم المناسبات
- المطلب الثالث: عناية المفسرين بعلم المناسبة
- المبحث الرابع: أنواع المناسبات
- المطلب الأول: المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:
- المطلب الثاني: المناسبة بين فواتح السور وخواتمها:
- المطلب الثالث: مناسبةُ الآية لما قبلها ولما بعدها:
- المطلب الرابع: المناسبةُ بين الآية وفاصلتها:
- المطلب الخامس: وقد تكون المناسبة في مراعاة حال المخاطبين.
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الثاني عشر: إعجاز القرآن الكريم**

- المبحث الأول: تعريف الإعجاز وإثباته
- المطلب الأول : تعريف الإعجاز
- المطلب الثاني: أنواع التحدي .
- المبحث الثاني: شروط المعجزة الإلهية
- المبحث الثالث: بم كان إعجاز القرآن
- المبحث الرابع: وجوه إعجاز القرآن الكريم
- أسئلة للمناقشة
- الخاتمة
- المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات